

لبنان والامستور المالى

منعك

NOT TO CIRCULATE

NOT TO CIRCULATE

CA

Closed Area

956.9: M3912A

NOT TO CIRCULATE

مسعد ه بولس

لبنان والدستور العثماني ...

CA 956.9
M3912A

Closed Area

NOT TO CIRCULATE

NO 21 '53

FEB 54

NOV 54

DEC 54

FEB 55

APR 55

MAY 55

NO 20 '57

JAN 55

FEB 55

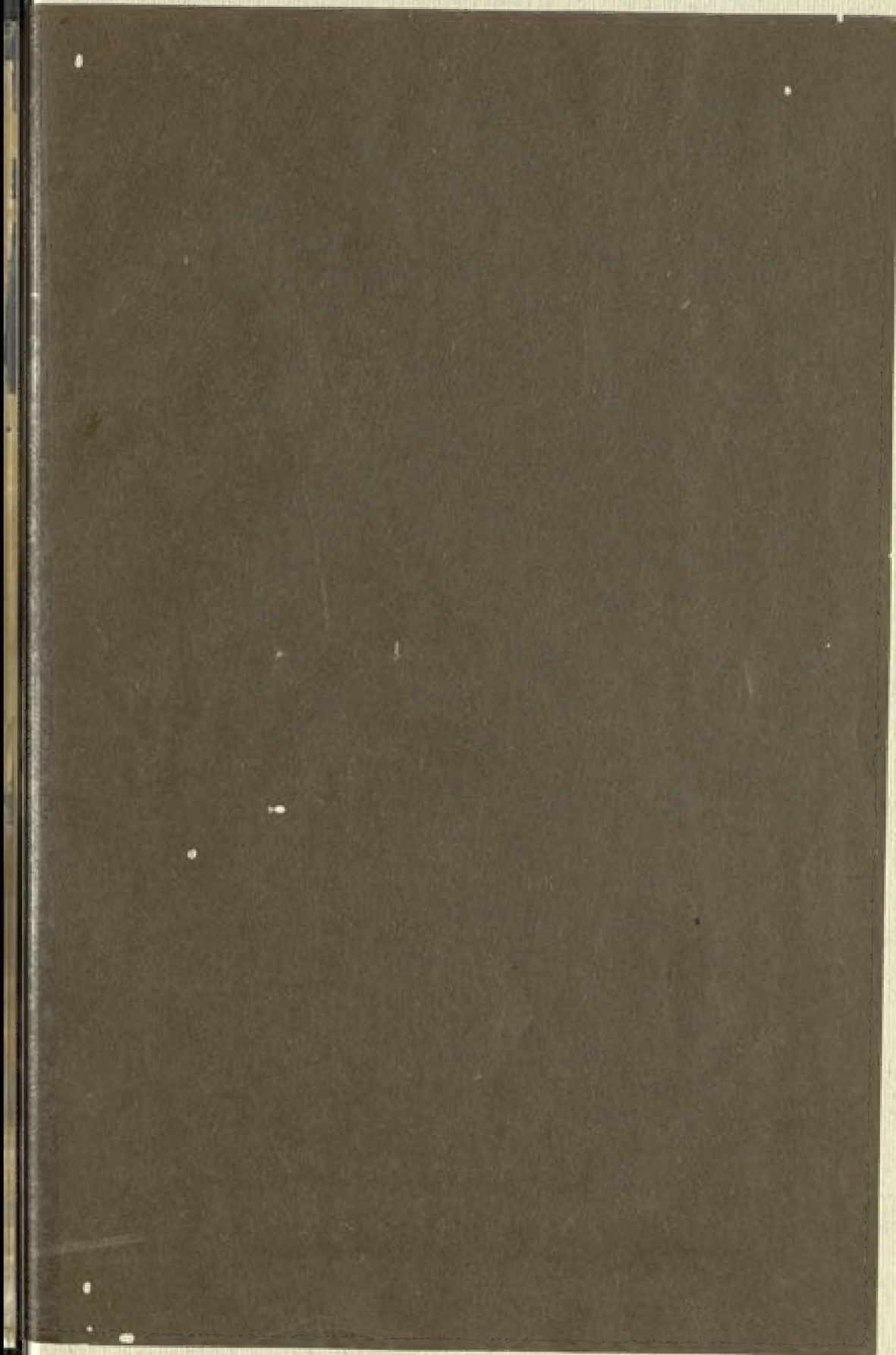
MAR 55

12 NOV 64

DO NOT
CIRCULATE

Check with
Miss Sadaka

10 DEC 1970



CA.956.9
M391.8
C.1

لبنان والدستور العثماني

بحث سياسي قانوني تاريخي في موقف لبنان الحاضر
ازاء الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده

بقلم
بوشني مسعود

طبع على نفقة المؤلف ونجيب متري صاحب مكتبة ومطبعة المعارف بالفجالة بمصر
وقد جعلاً قسماً من دخله للجنة الجمعية اللبنانية المؤلفة في مصر للاهتمام بشؤون لبنان

تمن النسخة

خمسة قروش صاغ عدا عن اجرة البريد في القطر المصري
وفرثك ونصف في الخارج وفي سوريا - وهو يطلب من مؤلفه
ومن مكتبة ومطبعة المعارف بالفجالة بمصر
وفي بيروت من المكتبة العمومية لصاحبها سليم افندي صادر

Cat. July 1934



٤٤٤١

د

فهرس الكتاب
سليمان أبو غزالين

Suliman A. Jazgaddin
25-8-15

صفحة	
١	مذهب المؤلف وامانيه
٢	موقع جبل لبنان
٢	حدوده
٣	مساحته
٣	سكانه
٣	تقسيمه ادارياً ووظائف حكومته ومراتبها
٥	اخرار اللبنانيين
٦	حزب المحافظين
٩	نظام لبنان
١٦	المتصرفون الذين حكموا لبنان من سنة ١٨٦١ حتى الآن
١٧	المحافظة على نظام لبنان من الوجهة القانونية والعقلية
٢٠	البيعة العثمانية
٢٠	نظام المملكة الالمانية والولايات المتحدة
٢١	الخدمة العسكرية
٢٢	نظام لبنان والشرائع الجديدة
٢٢	حرية الصحافة
٢٣	ما ذا يفيد لبنان اشتراكه بمجلس المبعوثان
٢٥	الوجهة القانونية مقرونة بالقياسات العقلية
٢٨	الوجهة العملية
٢٨	الضرائب ونظام لبنان

صفحة	
٣٦	الاكبروس ونظام لبنان
٤٣	شعار الدولة ونظام لبنان
٤٦	ما يقال في ضم لبنان الى الدولة
٤٩	الكتاب ونظام لبنان
٥٠	رأي نخبة من احرار الاتراك
٥٢	الاتراك يحدون لبنان على نظامه
٥٣	تصریح عظيم الشأن
٥٥	رأي اسمعيل كمال بك
٥٥	رأي البرنس صباح الدين
٥٦	اجتماع اللبنانيين في مصر
٥٧	الخلاصة
٥٩	صفحة من تاريخ لبنان
٨٣	لبنان في الجيل التاسع عشر - كيف كان قبل فتنة سنة ١٨٦٠



مذهب المؤلف وامانيه

ان يحتفظ اللبنانيون بامتيازاتهم الحاضرة - ان يطلبوا من الدولة العثمانية والدول الاوربية الست الموقعة على نظام لبنان اعادة حدود الجبل كما كانت في السنوات الاولى التي تلت فتنة سنة ١٨٦٠ - ان يطلبوا تنفيذ ما ألغى من مواده او بطل العمل به منها وذلك طبقاً لاعتراضات السفراء المدرجة في كل بروتوكول كان يحرر عند تعيين كل متصرف من متصرفي لبنان - ان يطلبوا تفسير هذا النظام لانه مبهم يمكن تأويله كيفما شئت السياسة - ان يطلبوا تعديله من الدول بصورة يصير معها منطبقاً على احتياجاتهم وعلى روح العصر الحاضر - ان يحافظوا جهد طاقهم على عثمانيتهم ويوردوا الشواهد الحسية على اخلاصهم للدولة العثمانية الدستورية وشدة تعلقهم بها ومشاركتهم لها في السراء والضراء - ان يؤلفوا منهم حكومة عادلة حازمة حكيمة رشيدة راغبة في خير لبنان رغبة حقيقية شعارها العدل والمساواة واحترام الحرية الشخصية ومراعاة الحقوق الوطنية العامة تعمل لخير لبنان ووصلحته بكل همه واخلاص - ان يزيلوا من بينهم عوامل التفريق والاختلافات المذهبية والطائفية ويؤلفوا جامعة لبنانية يكون غرضها التآلف بين عناصر الشعب اللبناني وتوحيد كلمته في الشؤون العمومية والسعي الى ايجاد روح التآخي والتعاقد بين الطوائف المختلفة التي يتألف منها الشعب اللبناني وبث روح الوطنية الصادقة في صدور الناشئة اللبنانية والى انشاء الشركات الوطنية والمختلطة للقيام بمشاريع نافعة من شأنها ان ترقى البلاد مادياً وادبياً وتجعلها صالحة لان تصبح في مستقبل قريب مقصداً للمصطفين ومحجاً لطلاب النزهة والراحة والصحة من سكان القطرين الشقيقتين المصري والسوري - ومن اعز امانيه ايضاً ان يروج هذا الكتاب بين سائر طبقات الشعب اللبناني

موقع جبل لبنان

ان جبل لبنان متوسط في سوريا شاغل لبقعة جميلة منها ما بين ولاية بيروت وولاية الشام المعروفة بولاية سوريا وهو بارتفاع قمه ^(١) يشرف على معظم مدنها ويظل ما يحيط به من بقاعها كأنما الطبيعة أقامته حارساً عليها يدفع عنها كوارث الدهر كما كان يدفع في غابر الزمن عن سكانها مطامع الشعوب



حدوده

وهو محدود من الشمال بمتصرفية طرابلس ومن الشرق بولاية سوريا ومن الجنوب بقضاء صيدا ومن الغرب بالبحر المتوسط وهو يضم داخل حدوده مدينة بيروت وضواحيها وملحقاتها وقد جعلتها الطبيعة جزءاً متمماً له من كل الوجوه ولذلك لم يتمكن الملوك الاقدمون الذين تداولوا الحكم على سوريا من سلخها عن الجبل الى عهد طويل لان مركزها الطبيعي

(١) اعلى قمة من جبل لبنان انما هي ظهر القضيبي وتبلغ من الارتفاع ٣٠٦٣ متراً وهي على مقربة من ارض لبنان المعروف بارز الرب ويروي ان سليمان الحكيم اخذ منه الجذوع والاشباب التي استعملها في تشييد الهيكل المعروف باسمه في بيت المقدس والله اعلم

يقضي بذلك ولم تكن دولة من الدول الغابرة تملك بيروت من غير ان
تسقط ولايتها على القسم الجنوبي من لبنان اللاصق بها كما سيحي



مساحته

وهو يمتد طولاً من الشمال الى الجنوب على خط مستقيم يضيق من
طرفيه ويتسع في وسطه من متصرفية طرابلس حتى مصب نهر القاسمية
المعروف بنهر الليطاني وعرضاً من الغرب الى الشرق من البحر المتوسط
حتى الآتي لبنان على حدود بعلبك وتبلغ مساحته زهاء ٥٧٤٠ كيلومتراً
مربعاً



سكانه

اما سكانه فيبلغ عددهم زهاء ٥٥٠ ألفاً هاجر منهم نحو ٢٥٠ ألف نفس
الى اميركا واستراليا وافريقيا والقطر المصري . ومنهم زهاء ٤٧٠ ألف
مسيحي من طوائف مختلفة ومعظمهم من الموارنة و٥٠ ألف درزي و٣٠ ألف
مسلم بين شيعيين وسنيين



تقسيم ادارياً ووظائف حكومته

وهو يقسم ادارياً الى ٨ قضاوات وهي : دير القمر والشوف والمثني
وكسروان والبترون والكورد وزحلة وجنين . وكل قضاء يقسم الى عدة
مدريات يبلغ مجموعها ٤٣ مديرية . ويحكم القضاء حاكم محلي ينصبه حاكم

لبنان العام ويعرف باسم قائمقام ووظيفته تعادل وظيفة مدير في القصر المصري
واما المديرية فيحكمها مدير يعينه الحاكم العام بناء على طلب القائمقام ووظيفته
تعادل وظيفة مأمور مركز في القصر المصري . واما الحاكم العام فيطلق عليه
اسم متصرف ويعينه الباب العالي بعد موافقة سفراء الدول الاوربية الست
الموقفة على نظام لبنان في الاستانة ويكون تعيينه على خمس سنوات يمكن
تجديدها وهو قابل العزل قبل انتهاء مدته ويكون برتبة مشير وساعته اوسع
من ساعته الولاة في الدولة العثمانية ومرتبه الشهري ثلاث مائة ليرة عثمانية
يضاف اليه مائتا ليرة عثمانية في السنة بدل انتقال في جهات الجبل لان
وظيفته تقضي عليه بالتجول في أنحاء متصرفية لبنان مرتين في السنة لتفقد
شؤونها والنظر فيما يشكو الاهالي منه وقد زيد هذا المراتب في بدء سنة ١٩٠٨
الماضية خمسين ليرة عثمانية حتى ابلغ الى ثلاثمائة وخمسين ليرة عثمانية وهو
مرتب ضخم لم يبلغه رئيس نظام الحكومة المصرية ذاتها اما مرتب القائمقام
فهو ٢٥ ليرة عثمانية ومرتب المدير لا يزيد في اكبر تعديل عن ثمان ايرات عثمانية .
اما الضابطة فمؤلفة من نحو ثمانمائة جندي نظامي يتودها ضابط لبناني
كبير برتبة امير لاي ومرتبه الشهري ٢٥ ليرة عثمانية . وليس لحكومة الجبل
ان تؤلف من هذه الفرقة مجلدا عسكريا وهي قضت الضرورة بمحاكمة
أحد رجال الجند يحال على مجلس عسكري يعقد في ولاية الشام

احرار اللبنانيين

في لبنان الآن فئة من الاحرار المتطرفين يكاد لا يتجاوز عددهم
بضع عشرات من اهاليه اخذوا يضربون منذ اعلان الدستور في السلطنة
العثمانية على وتر الحرية وهم لا يعرفون من اصولها اكثر مما يعرفه البدوي
من اصول التمدن الغربي . وقد كان بودي ألا آتي على ذكرهم لولا الضجة
التي احدثوها اخيراً في لبنان وكان لها على ضفاف البوسفور ما كان من
الصدى الذي ردده جريدة صباح التركية على ما جاء في الرسائل الاخيرة
الواردة على بعض الصحف المصرية من مكاتبتها في حاضرة السلطنة
قامت هذه الفئة في الايام الاخيرة بحركة فوضوية انما تقصد منها
احداث فتنة في الجبل تؤدي الى الخافه بالدولة العثمانية من حيث لا
يدري انسان تخالفت بعض احرار الاستانة بشأن هذا الضم المجازي
واقترحت عليهم ان يوعزوا الى اولي الشأن في بيروت بتعريضها لدى حاكم
الجبل حتى اذا امتنع الاهالي عن انتخاب نواب لهم في مجلس المبعوثان
كان لهذه الفئة من القوة التي تمدها بها حكومة بيروت اكبر عضد على
تنفيذ ما ربهها وارغام الاهالي على الانتخاب جرياً على قاعدة الضغط التي
كانت متبعة في لبنان في الانتخابات العمومية لعهد الحكومة الاستبدادية
الماضية . ولم تقف هذه الفئة عند هذا الحد بل انها لما عدت الانصار من
احياء اللبنانيين لجأت الى القبور فاستباححت من اصوات سكانها
اربعين الف صوت انابتها عن اربعين الف روح طاهرة كانت رافدة
وقاداً هنيئاً فابت الا ان تهيج غضبها في اعماق مرافدها فتذرعت بها

تلبس خيانتها حلة نظامية قانونية وتفرغ مزاعمها الكاذبة في قالب الحقيقة
الوضاعة الناصعة فكتبت العرائض ووقعت عليها اربعين الف طابع
« ختم » من طوابع الموقى المحفوظة عند بعضهم لمثل هذه المآزق
وبعثت بها الى الاستانة من طريق امته اللاذقيون لركب الامير فاجتازه
امنا مطمئنا وهي مع كل ذلك ساكنة الضمير رابطة الجأش
كأن الحناية الفظيعة التي اوتكتبتها وسجلت على انصارها والمنتمين اليها
عاراً لم يذكروا له مثيل في تاريخ العالمين هي دون ما يلزم لتحريك عاطفة في
قلوبهم المتجمدة



حزب المحافظين

اما الحالة في لبنان فهي كما وصفها احد نبهاء الكتاب احزاب تتنازع
النفوذ وتتجاذب السلطة تريد اموراً كثيرة ولكثرة الآراء وتشعبها فيما
تريده أصبحت لا تعرف ما تريد فكأنها لا تريد شيئاً
يرغب السواد الاعظم من اللبنانيين سواء كان في لبنان أو خارجاً عنه
في الاحتفاظ بنظام جبالهم وادخال بعض التعديل على ما كان فاسداً من
مواده وتفسير ما كان مبهماً منها ولكنهم لسوء الحظ لم يتجهجوا لذلك النهج
القديم الموصل الى هذا الغرض من آمن الطرق واسلمها عاقبة فهم فيما
يقصدونه اشد احزاب تمسكاً بالوطنية الصحيحة الصادقة واخرى
بالمساعدة والتنشيط الا أنهم في حالتهم هذه اخرج الى النصح والارشاد
وهم يفتقرون خاصة الى زعماء خبيرين بأوجه الاصلاح ملهمين بأصول

السياسة الدولية ليرشدوا الامة الى خير الطرق المؤدية الى ضالتها المنشودة
من غير ان يشيروا بسخط الدولة العثمانية ويهيجوا الرأي العام الاوربي
عليهم لان حال الدولة تستدعي اخلاص رعاياها لها وتضافرهم على معاونتها
بكل وجه ومعنى . وغني عن البيان ان اللبنانيين كانوا ولم يزالوا لان من
اكثر رعايا الدولة اخلاصاً لها واشدهم تمسكاً بتابعيتهم العثمانية

اما الفئة التي ترغب في الدستور لغاية في النفس وتعمل جهد طاقتها على
اشراك لبنان في مجلس النواب العثماني فهي ضعيفة كما قدمنا ولكنها على ضعفها
وفلة عدد انصارها هاجت الرأي العام في تركيا وألحقت الى عملها انظار
العثمانيين على اختلاف مشاربهم ونزعاتهم ووجهت اهتمام احرارهم اليها لما
يعلق اولئك الاحرار من الالهية على الحركة المقلقة التي ترمي هذه الفئة
في قيامها بها الى انقلاب يمد في نظر ثواقفين على سياسة الدولة الدستورية
الحاضرة خطوة كبيرة في الطريق المؤدي الى الغاء امتيازات لبنان وضعه
اليها ضمّاً ليس التسليم به في الظروف الحاضرة من الحكمة في شيء

فذلك ليس من اصالة الرأي ان تقوم من حولنا هذه الضجة الهائلة
وبعد اعداء الوطن المارقين عن الوطنية ايديهم الائمة الى نظام لبنان العزيز
لميزقوه ويحرقوه هذه الجناية الفظيعة على تاريخه المملوء بالعبير البالغة المأثورة
عن وطنية آبائنا وشرف منابهم ويؤبدون مزاعمهم ومطالبهم بمسندات
يستخرجونها من بطون القبور ونحن سكوت نظير سكان تلك القبور غير
حاسبين لسوء العقبي حساباً نأركون مثل هؤلاء الانحرار يحتكرون اللبنانية
ويذهبون في امرها مذاهب لا تنطبق على معقول او منقول وهي في واقع

الامر براء منهم تتصل من تبعه اعمالهم لانهم ليسوا في العير ولا في التقير
ولم تر حتى الآن منهم من اصلاح امراً فاسداً من امورنا القومية والاجتماعية
او اتى عملاً مفيداً في سبيل الوطنية التي يشدها صباحاً ومساءً

العلم ايها المواطنين الكرام لا تذكرن لبنان الا استمعوا في زمن
المطلة بما راق لكم من مناظره ورق من نسيمه وطاب من مائه وصفاه من
جوّه واعتدل من هوائه . ايطيب لكم عيش ووطنكم صائر الى الدمار
وقد بات طعمه للظالمين ولقمة سائقة تقوم تبرا منهم الوطنية تبرؤ الذئب
من دم ابن يعقوب : اليكم ايها اللبنانيون النازلين في هذا القطر السعيد
اوجه الخطاب لانكم من نخبة رجالنا الغيورين على مصالح الوطن وقد نبغ
منكم افراد اشتهروا بسعة الاطلاع واحرزوا خبرة واسعة في امزاجهم
بصفوة الشعوب القريبة - وفي وادي النيل نموذج من كل منها - مهدت
لهم السبيل الى معرفة ما ينطوي تحت اسم وطنية من المعاني الجميلة السامية
قفوا معي ايها المواطنون الكرام ساعة نتأمل حالتنا وننقدتها ونمحسها
تمحيصاً يتجلى لنا عن حقيقة ناسئة نحن في اشد الافتقار الى معرفتها في
معتك حياتنا القومية الحاضر الذي يدعو الى شدة الحذر مما يكيد لنا
الاعداء في الداخل وفي الخارج من المكائد وينصبونه لنا من الشراك



نظام لبنان

قبل ان ابدأ بيراد الشواهد والبراهين على ضرورة التحسّث بالامتيازات
التي منحت لمعشر اللبنانيين بموجب نظامهم الخصوص الذي وضعته لهم

الدول الاوربية الست على اثر حوادث سنة ١٨٦٠ رأيت ان اورد هنا نص
الثمانية عشر مادة التي يتألف منها هذا النظام ليكون القاريء الكريم على
بيئة مما يتضمنه هذا الكتاب من الحقائق التي يجدر بكل لبناني يعرف
ما هو الاستقلال الداخلي ان يعيها في قلبه وينقشها على صفحاته ويرددها
في سره وجهره انما حل من بلاد الله الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً

نظام لبنان

وقرار يتعلقان بتجديد حكومة جبل لبنان بتاريخ ٩ حزيران سنة ١٨٩١
(٣٠ ذي القعدة سنة ١٢٧٧)

« المادة ١ » يتولى ادارة جبل لبنان متصرف مسيحي تنصبه الدولة
العلية ويكون مرجعه الباب العالي رأساً وهو محتمل العزل وتعهد اليه كل
حقوق القوة الاجرائية وعليه ان يتوفر على حفظ الراحة والنظام في الجبل
كله والى تحصيل التكاليف وبحسب الرخصة التي ينالها من لدن الحضرة
الشاهانية ينصب تحت عهده مأموري الادارة المحلية ويقاد الحكام القضاء
ويعقد المجلس الكبير ويتولى رئاسته وينفذ الاطلاعات القانونية الصادرة
عن المحاكم ماعدا الامور التي ستذكر في المادة التاسعة وكل عنصر من
عناصر شعب الجبل يمثل لدى المتصرف وكيل يعينه الكبير، ولوجهاً في
كل طائفة

« المادة ٢ » ينبغي ان يكون للجبل كله مجلس ادارة كبير يتألف من
ثني عشر عضواً وهم : اثنا مارونيان واثنا درزيان واثنا من الروم

الكاثوليك واثنتان من الروم الارثوذكس واثنتان من المتأولة واثنتان من المسلمين ويكلف هذا المجلس بتوزيع التكاليف والبحث في ادارة عوائد الجبل ونفقائه وبيان اوائه الشورية في المسائل التي يعرضها عليه المتصرف كلها

« المادة ٣ » يقسم الجبل الى ست مقاطعات ادارية وهي :

اولا : الكورة مع الجهة التحتية وقطع الارض المجاورة الآهية بالقوام على مذهب الروم الارثوذكس ما عدا بلدة القلمون الكائنة على ساحل البحر ومعظم سكانها من المسلمين

ثانياً : الجهة الشمالية من لبنان ما عدا الكورة حتى نهر الكلب

ثالثاً : زحلة وما يتبعها من الارض

رابعاً : المتن ومعه ساحل النصارى وارضى القاطع وصلبا

خامساً : الارض الكائنة في جنوبي طريق الشام وبيروت حتى جزين

سادساً : جزين واقليم التفاح

ويكون في كل من هذه المقاطعات مأمور اداري يعينه المتصرف

ويختار من الطائفة الغالبة سواء بعدد نفوسها او بأهمية املاكها

« المادة ٤ » يجب ان يكون في كل مقاطعة مجلس ادارة محلي مؤلف

من ثلاثة اعضاء الى ستة يمثل عناصر الشعب ومصالح الاملاك في المقاطعة

ويجب ان يلتئم هذا المجلس مرة في السنة برئاسة مدير المقاطعة وبدعوة

منه وعليه ان ينظر قبل كل شيء في كل الامور القضائية الادارية ويسمع

مطالب الاهلين ويؤدي المعلومات الاحصائية اللازمة لتوزيع التكاليف

في المقاطعة ويعطي رأيه الشوري في كل المسائل المتعلقة بالمنافع المحلية
« المادة ٥ » تقسم المقاطعات الى نواح على غط قريب المشاكلة من
تقسيم الاقاليم القديمة ولا يكون فيها على قدر الامكان الا جماعات موحدة
الجنس من السكان وتقسّم النواحي الى جماعات تتألف من ٥٠٠ رجل على
الاقل ويكون في كل ناحية مأمور يعينه المتصرف بانحاء مدير المقاطعة
ويرأس كل جماعة او قرية شيخ ينتخبه الاهلون ويعينه المتصرف وفي
الجماعات او القرى المختلطة يكون لكل عنصر كافي العدد من الشعب شيخ
خاص لا شأن له الا مع ابناء مذهبه

« المادة ٦ » قد تقرر امر المساواة بين الجميع امام القانون والغاء كل
امتيازات الاحكام ولا سيما امتيازات اصحاب المقاطعات
« المادة ٧ » يكون في كل ناحية قاضي صالح لكل طائفة وفي كل
مقاطعة مجلس قضاءي ابتداءي يؤلف من اثني عشر عضواً بنسبة اثنين
لكل طائفة من الطوائف الست المذكورة في المادة الثانية ويضاف اليهم
عضو من المذهب البروتستاني او الاسرائيلي كلما كان لاحد من هذه
المذاهب مصلحة او دعوى وتكون رئاسة المجالس القضائية لكل من
اعضائها بدوره كل ثلاثة اشهر

« المادة ٨ » لقضاة الصالح ان يحكموا في الدعاوي التي لا يتجاوز
قدرها ٥٠٠ قرش حكماً غير مستأنف واما الدعاوي المتجاوز قدرها ٥٠٠
قرش فهي من صلاحية المحاكم الابتدائية على انه لو عرضت امور مختلطة وهي
الدعاوي الواقعة بين اشخاص مختلي المذهب مهما كانت قيمتها يجب عرضها

لدى المحاكم البدائية الا اذا اتفق الفريقان على الرضا بصلاحيه قاضي الصالح
الذي على مذهب المدعي عليه ثم انه تبعاً للعبداء يجب الحكم في كل دعوى
باتفاق الآراء بين اعضاء المجلس الا انه اذا كانت كل الفرق الداخلة في
الدعوى تابعة لمذهب واحد فلهم ان يردوا الحكم لا اختلاف مذهب غير ان
الحكام المردودين من هذا الوجه لا بد من حضورهم المحاكمة

« المادة ٩ » تقتضي المحاكمة في الدعاوي الجزائية ان تكون على ثلاث
درجات وهي ان ينظر في دعوى القباحة قضاء الصالح وفي الجنيح والجرائم
المحاكم البدائية وفي الجنايات مجلس المحاكمة الكبير ولما اعلمت المحاكم
من هذا المجلس فلا يمكن وضعها موضع التنفيذ ما لم تكمل المعاملات
التجارية بها العادة في سائر الممالك المحروسة الشاهانية

« المادة ١٠ » كل دعوى تجارية ترفع لمحكمة التجارة في بيروت وكل
دعوى ولو مدنية بين واحد من ذوي التابعة الاجنبية او احد الداخلين
في حماية اجنبية وبين آخر من اهل الجبل ترفع الى المحكمة المذكورة

« المادة ١١ » كل اعضاء المحاكم ومجالس الادارة بلا استثناء وقضاة
الصالح ايضا ينتخبهم ويعينهم رؤساء طوائفهم بالاتفاق مع كهنة الطائفة
وتنصبتهم الحكومة واما اشخاص المجالس الادارية فيجب انتخاب نصفهم
كل سنة ويجوز تجديد الانتخاب للذين انتهت مدتهم

« المادة ١٢ » يجب ان يكون الحكام والقضاة باجمعهم موظفين وان
اقدم اقدمهم على ارتكاب الرشوة او تبين للتحقيق انه اتى ما لا يليق بصفته
ما وريته فهو مستحق للعزل بل مستوجب للتأديب ايضا على قدر قباحتته

« المادة ١٣ » يجب في المجالس القضائية أو المحاكم على الاطلاق ان تكون المرافعة علانية وان يعهد بنسب الدعوة الى كاتب مخصوص وما عدا ذلك فلما كان هذا الكتاب مأموراً بالتخاذ - سجل قيود الصكوك المختصة ببيع الاملاك الثابتة او العقار فلا يعمل بهذه الصكوك ما لم تقيد على اصولها في السجل المذكور

« المادة ١٤ » ان المتهمين من اهل جبل لبنان بارتكاب الجرائم في غير اللوية فرجع الدعوى عليهم هو اللواء الواقع فيه الجرم وكذا مرتكبو الجرم من اهالي سائر اللوية داخل نطاق جبل لبنان ينبغي ان تجري محاكمتهم والحكم عليهم بدعاوي جرائمهم في جبل لبنان وبناء على ذلك فان المتهمين في جبل لبنان سواء كانوا من اهاليه الوطنيين او من نزلائه الممدودين من اهل ديار اخرى اذ فروا الى لواء آخر فكما ان على ضابطه ان يسكنهم بمقتضى الاشعار الوارد من قبل ادارة جبل لبنان ويسلمهم اليها كذلك يلزم ادارة الجبل ان تقبض على الفارين اليه من المجرمين في احد اللوية اللبنانيين كانوا او غير اللبنانيين وتدفعهم الى اللواء المذكور بموجب اشعار ضابطة ومأمورو الادارة الذين يتسمعون في اجراء الاوامر الصادرة باسترجاع امثال هؤلاء المتهمين الى المحاكم المنوطة بها دعاويهم او الذين يجيزون تأخيرات لا يمكن اثبات بنيتها على اسباب شرعية فتجري عليهم المجازاة بمقتضى القانون كسائر الذين يوارون ويخفون امثال هؤلاء المتهمين عن الحكومة والحاصل ان العلاقات اللازمة اجراؤها بين ادارة جبل لبنان واللوية المجاورة لها تكون كالمواصلات الجارية والمتخذة دستوراً للعمل بين سائر السناجق في ممالك الدولة العلية

« المادة ١٥ » ان سبيل المتصرف الى اقرار الراحة وانفاذ القوانين في
الازمنة العادية لما يكون بواسطة فرقة من الضابطة مجموعة من الالهين
بحسبان سبعة انفار تخميناً على كل الف من النفوس . ويجب نسيخ سلك
الحوائية وابطال نزول الضابطة على البيوت والاعتياض عن ذلك باسباب
اكراهية كاستياف المحكوم عليه الى السجن . فبناء على ذلك يمنع ماوردو
الضابطة بقيد التاديبات الشديدة ان يصادروا اهل البلاد بشي من الاجرة
نقد اكان او عيناً ويجعل للضابطة لباس رسمي او ازياء مميزة لهم في
خدمتهم وان تبنى طرق بيروت والشام وصيدا وطرابلس تحت محافظة
المساكر الشاهانية الى ان يصدق المتصرف على ان جند الضابطة صاروا
اكفاء لانمام جميع الوظائف المحمولة عليهم في الازمنة العادية . وهذا العسكر
يكون لدى المتصرف وبادارته وللمتصرف ان يطلب من الحكومة
العسكرية في سوريا الامداد بالجنود المنظمة في الاحوال غير العادية اذا
دعت الضرورة بعد ان يستشير مجلس الادارة الكبير في ذلك . ويلزم
الضابط المعين بالذات لرئاسة هذا العسكر ان ينظر مع المتصرف في تقرير
التدابير الواجب اتخاذها . وهو (اي الضابط الموما اليه) وان كان مختاراً
ومستقلاً بامور العسكر المحضة كاجراء الحركات والنظامات الجندية الا
ان عليه مدة وجوده في الجبل ان يلزم معية المتصرف ويجري العمل تحت
عهده وفي حال اعلان المتصرف لرئيس العسكر وافادته رسمياً ان قد زال
السبب الذي من اجله ورد العسكر الى الجبل يجب اخراجه منه
« المادة ١٦ » ان الدولة العلية تحافظ على حقها المعلوم بتحصيل مال

الجليل الاميري المعين الآن ٣٥٠٠ كيس وذلك على يد المتصرف . على انه يجوز
ابلاغ هذا المقدر الى سبعة آلاف كيس عند الامكان بحيث ان المال المتحصل
يخصص بادىء بدء بادارة الجبل ونفقات مناقمه العمومية فاذا فضل
منه شيء ردة الفائض على الخزينة واذا اقتضت شدة الضرورة الى تحسين
مجرى الادارة مزيداً على التكاليف المعينة فيرجع في تسوية الميزانية الى الخزينة
الجليلة ولكن من المقرر ان السلطنة السنية لا تقوم باداء مصاريف
المنشآت العمومية وسائر النفقات غير العادية ما لم تقدم قبولها لها وتصديقها عليها
ثم اضيف الى هذه المادة النفقة الآتية : واما واردات البكاليك
اي حاصلات الاملاك الهايونية فيما انها ليست بداخلية ضمن المال الاميري
فينبغي ادخالها في صندوق الجبل لحساب الخزينة الجليلة

« المادة ١٧ » يجب تعجيل الشروع في احصاء نفوس اهل الجبل
محلاً محلاً وملة وملة ومسح جميع الاراضي المزروعة

تقرر واتفق عليه في يور في ٩ حزيران سنة ١٨٦١

الامضاء : علي - هـ . بطور - لافلت - بروكش اوستن - غولر لا بانوف

— — — — —

~ مادة اضافية ~

من المعلوم ان مبلغ ٧٠٠٠ كيس المذكور في المادة ١٦ من نظام ٩ حزيران
سنة ١٨٦١ لا يفهم به حد فاصل . فاذا اوجب قبل ابلاغ الاموال الاميرية
الى هذا الحد انتظار التحلل لازمة الناجمة عن الحوادث الاخيرة فيمكن ان
تدعو زيادة النفقات المتأتمية عن التنظيم الجديد الى توزيع التكاليف ويمكن

ان يتجاوز مبالغها سبعة آلاف كيس مضافا الى الاموال الالهية الماضية
غير ان المتصرف يجب ان لا يستخدم هذا الحق الا بالتحفظ المطلق
بل يجب عليه ان يجتهد دائما قبل كل شيء في حفظ الموازنة العادلة بين
عوائد الجبل ونفقاته العادية

ثم عدل هذا النظام في ٦ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٦٤ واضيف اليه
مادة هذا نصها :

يمنع في الاماكن الكاثوليكية مطلقا اجارة اللاجئين اليها ممن
تطلبهم وتبعمهم الحكومة الكاثوليكية كانوا او من عوام الناس
وقد ألحق بهذا الاسل قرار دولي اطيلت فيه مدة المتصرف الى خمس
سنوات وجمدت للمتصرف الاول وهذا نصه :

ان الباب العالي بالاتفاق مع ممثلي النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا
وردوسيا يثبت كل مندرجات المادة الاضافية الموضوعة في التاريخ نفسه .
ثم يعلن ذو الفخامة عالي باشا ان الباب العالي يؤيد متصرف لبنان الحالي
في منصبه لمدة خمس سنوات ايضا ابتداء من ٩ حزيران (يونيه)
سنة ١٨٦٤

المتصرفون الذين حكموا لبنان من سنة ١٨٦١ حتى الآن :

داود باشا - وهو ارمني كاثوليك . انتخب في ١ حزيران سنة ١٨٦١
واستقال في حزيران سنة ١٨٦٨
فرقتو باشا - حلي لاتيني . انتخب في ١٤ حزيران سنة ١٨٦٨

ومات في شهر شباط سنة ١٨٧٢

رستم باشا - ايطالي لاتيني . انتخب في ٣٠ اذار سنة ١٨٧٣ وانتهت
مدته في حزيران سنة ١٨٨٢

واصف باشا - الباني لاتيني . انتخب في ٣٠ ايار سنة ١٨٨٢ وتوفي
في حزيران سنة ١٨٩١

نوم باشا - حلي لاتيني . وهو عضو فرقة باشا وسفير الدولة الحالي
في باريس - انتخب في ٢٣ آب سنة ١٨٩٢ وانتهت مدته في شور آب
سنة ١٩٠٢

مظفر باشا - مهاجر بولوني لاتيني . انتخب في ٢٧ ايلول سنة ١٩٠٢
ومات في شهر تموز سنة ١٩٠٧

يوسف باشا - حلي لاتيني وهو ابن فرقة باشا . انتخب في شهر
آب سنة ١٩٠٢ ولم يزل متصرفاً على لبنان الى الآن

المحافظة على نظام لبنان من الوجهة القانونية والعقالية

ان من مصلحة اللبنانيين في الوقت الحاضر ان يتسكوا بنظامهم
ويحرصوا عليه حرص البخل على الدرهم ويتنعموا كل الامتناع من الاشتراك
بمجلس النواب المشائي لاسباب شتى اهمها انها وان يكن من المستحب
ان تشارك اخواننا العثمانيين في الحقوق والواجبات التي خصهم بها دستورهم
الجديد الا ان لبنان من الولايات الممتازة التي لا تتناولها مباحثات مجلس
المبعوثان ونمّا عن تصريحات بعض المراجع الانجماية والقانون الدولي يخرجها

عن اختصاص المجالس النيابية في ما خلا الامور الخارجية والمقوق
السياسية التي من شأن الحكومة العثمانية ان تنظر فيها مع الدول الست
الاوروبية سواء كان لبنان مشتركاً في المجلس اولا . ثم ان نواب لبنان لا
يكونون فيه ممثلين اللبنانيين لانه جاء في القانون الاساسي ان اعضاء مجلس
المبعوثان لا يمثل كل منهم الا فطاعة التي تنتخبه بل يكون عضواً عمومياً
لا يؤثر رأيه في مسألة دون اخرى وعليه فلا يصح ان يكون لنواب لبنان
امتياز على زملائهم الآخرين والا فسد جوهر القانون الاساسي لان
دعائمه الاساسية انما هي الشورى واشترك جميع الاعضاء في كل مسألة
تطرح على بساط البحث وذلك لكي يكون هذا المجلس ممثلاً للامة بكل
ما يفهم من معنى الكلمة

فأي صفة والحالة هذه للنواب اللبنانيين حتى يستطيعوا ان يحافظوا
على نظام الجبل وحقوق اهله كما يراد . وهب ان المجلس سلم بمنحهم
هذا الامتياز الخاص فيل ينطبق عمله هذا على ارادة خمسة وثلاثين مليوناً
من العثمانيين :

وانفرض ان الامة العثمانية وافقت على ذلك فهل يكون مثل هذا
الامتياز لبعض النواب في المجلس مدعاة الى وقوع الخلل في ميزانية
الاراء فيكون نصيبه من النواب اللبنانيين كنصيب مجلس النواب الالمانى
من الاشتراكيين ؟ وزد على ذلك ان نظام الجبل مضمون من الدول
الاوروبية الست كما هو معلوم فهل يمكن ان عس في احد بنوده من
دون رضاها ، ولو جاء المجلس يمدل فيه ما يرى تعديله منطبقاً على مصلحة

الليثانيين (وهذا بعيد الحصول) فهل يمدّ تعديله صحيحاً مشروعاً ما زالت
الدول التي هي صاحبة الحق الاول في هذا التعديل غير موافقة عليه
ومن العيب ان يزعم احرارنا اللبنانيون انهم يشترطون على الدولة
وسفراء الدول ضمانات نظام الجبل بوثيقة مكتوبة وموقع عليها رسمياً او ان
يحددوا مهمة اولئك النواب بلائحة مكتوبة بحيث لا يمكنهم ان يتجاوزوها
في البحث والتقرير ولا ندري هل الدولة العلية وأولو الشأن فيها يضطرون
الى هذا الحد وهل يسوغ لهم ان يقبلوا نواباً في مجلسهم بمثل هذه الشروط.
فاذا صح هذا الحدس فليس احبّ على عقلاء اللبنانيين من ان يرسلوا
عشرين عضواً بدلاً من اثنين او ثلاثة ولا يخفى ان جبال لبنان يمتاز
عن سائر الولايات العثمانية بنظامه المخصوص الذي يتألف من ثمانية عشر
بنداً وما خلا ذلك فانه يتبع في كل شيء نظامات وشرائع واحكام الدولة
العثمانية كـواه من الولايات وهذه الثمانية عشر بنداً انما هي نعمة جلي ليس
أوفق منها لاهل الجبل في الظروف الخصوصية التي هم فيها وقد اقتضت
مثل هذا التمييز لهم عن سواهم حكمة باهرة ورحمة ليس بعدها من رحمة
وقيل : « من كان في كرامة ولا يملأ بها فليس بالبهائم التي لا عقل لها... »
وقد سبق لي ان تكلمت عن هذا النظام وما يحتاج اليه من التعديل
في مقالة نشرت في المقام الاغرت تحت عنوان « نظرة مؤلمة الى لبنان » بينت
فيها اوجه الاصلاح بما لم يمد معه من سبيل الى العود اليه الآن

التبعية العثمانية

وهناك ملاحظة أخرى جديرة بالاعتبار وهي ان التبعية العثمانية في الولايات لا تقتاز في شيء عنها في لبنان فالاستور العثماني لا يريدنا عثمانية فنحن فيه عثمانيون كما نحن في ديار العربية عثمانيون لنا ما للعثمانيين من الحقوق وعائنا ما عليهم من الواجبات ولا يكسبنا نوابنا في مجلس المبعوثان حقوقاً جديدة فوق ما لنا من الحقوق . ولا عبرة بما يقوله البعض من ان في استطاعة الدولة ان تضيق علينا الخناق ان لم نشترك في المبعوثان فان دولة اليوم غير دولة الامس فضلاً عن ان الدول الاوربية التي من راسها ان نحافظ على نظامنا كما صرح بذلك معظم معتمديها وكبار رجالها في ظروف كثيرة كما سيحي في باب آخر لا نخلها تنظر الى الميث بحقوقها تلك بعين الرضى



نظم المملكة الألمانية والولايات المتحدة

اما قول بعضهم ان باستطاعة لبنان ان يشترك في مجلس المبعوثان من غير ان يفقد امتيازاته اسوة بالامارات والممالك الألمانية والولايات المتحدة الاميركانية فنقول ايضاً انه لا يمكن لبنان ان يشبه باحدى الامارات الألمانية وهي كما يعلم الملمون بالتاريخ بعيدة عن ان تشبهه من وجوه كثيرة ولم يستطع غليوم الاول ان يوافق وحدتها الا من بعد ان ضمن لكن منها امتيازاتها ونظاماتها الداخلية ولم يرتبطها بمملكة بروسيا الا رباطاً سياسياً خارجاً عن هذه الامتيازات والنظامات الادارية فلو قامت ألمانيا

الآن تسلب إحدى هذه الامارات استقلالها الداخلي اضجبت وهبت في وجهها هبة الأسد للذود عن حياضها واستعانت بسائر الولايات الجرمانية عليها لانها متضامنة يخشى ان ما يلحق بأحداهما اليوم من الاذى يتطاول شراره الى الولايات الاخرى وهكذا قل عن الولايات المتحدة ، اما لبنان فهو وحيد في النظام الموضوع له خاصة من دون سائر الولايات الممتازة فاذا ما قامت الدولة العثمانية تريد ضمه اليها فبعض يستعين ويستنجد ان لم يكن بالدول الاوربية وهذه الدول نفسها تريد ان تفرص على هذا النظام كما أسلفنا . اليس في التهور اذاً ان نعم آذاننا عن نصيحها وهي ملاذنا الوحيد في الظروف الحاضرة ؟

الخدمة العسكرية

وهناك ايضاً ملاحظة اخرى جديرة بالاعتبار وهي ان اللبنانيين يتمتعون في بلادهم بامتيازات تخفف عن عوائقهم ثقل الحياة المادية الى درجة لم يحلم بها شعب من شعوب الارض وان لم يكن لهم من الامتيازات سوى انهم معنون من الضرائب ومن الخدمة العسكرية ولهم حق التملك المطلق لكفى ذلك ان يجملهم من اكثر اهل الارض حقاً وهنا ، ولعل قائل يقول ان الخدمة العسكرية اقدس واجب وطني وليس في لبنان من لا يقدس واجب الوطنية بجوابه نعم ولكن لنا من تاريخنا شواهد كثيرة على تقايننا في حب الدولة التي تحكمنا ذوداً عن حياضها وللدولة ان تختبرنا في الشدائد وليس في ابلان الرخاء وهذه الحكومة الانكليزية وهي اول من وضع المبادئ الدستورية وعمل بها فانها لم تجعل الخدمة العسكرية اجبارية ومع ذلك لم

تعدم في كل وقت من اوقات شدائدنا فرقا من متطوعي الولايات الممتازة
التابعة لها وكثيرا ما قامت هذه الفرق بخدمات جليلة عجزت عنها الفرق
النظامية ذاتها



نظام لبنان والشرائع الجديدة

وما يقوله البعض الآخر من ان دخولنا في مجلس المبعوثان يترتب عليه
اشتراكنا بالشرائع الجديدة التي سيضعها المجلس فما لا يدعو الى الرغبة في
هذا الاشتراك لان هذه الشرائع اما ان تخالف نظام لبنان اولا فان خالفته
فلا وجه لنا للجري عليها مهما كانت مفيدة لنا ومنطبقة على مصالحنا ما
زال الدول لم تصادق عليها لانه جاء في القانون الدولي ما يؤخذ منه ان
القرارات والشرائع التي تصدرها وتسنها المجالس الداخلية - كمجلس
النواب ومجلس الاعيان او الشيوخ - في جميع الممالك لا تسري مطلقا على
الامور المربوطة بمعاهدات دولية ولا تناول البلاد الممتازة ذات النظامات
المخصوصة المبرم بشأنها اتفاق بين الدول . وان لم تخالف نظام لبنان فلنا ان
تتمتع بها اسوة بسائر العثمانيين ما دمنا تابعين للدولة في كل احكامها وشرائعها
ونظاماتها ما خلا الثمانية عشر بندا الموائف منها نظام لبنان

حرية الصحافة

وما يقال عن هذه الشرائع يقال عن حرية الصحافة والحرية الشخصية
فاذا كانت الحكومة العثمانية اطلقت هذه الحرية لجميع العثمانيين على السواء
بدون تمييز بين سكان ولاية ممتازة او غير ممتازة فلا يمكنها ان تحظرها علينا

لأنها من الحقوق العمومية التي يتمتع بها جميع العثمانيين أما نظامنا الخصوصي فلم يحظرها علينا أيضاً إذ لم يرد فيه من نص بشأنها والحرية كما هو معلوم من أعظم أسباب الرقي المادي والأدبي ولا سيما في بلاد كلبتان أشهر أهله بالدعة والسكينة والتزوع إلى الحرية الصحيحة المشروعة فلا ريب في أنه سيخرجني من هذه الحرية فوائد جليلة أخصها استئصال الرشوة والتخفيف من اتانة الحكم وإضعاف سلطتهم ومنعهم من الاستئثار بمرافق البلاد والعبث بمصالح اللبنانيين لأن الجرائد الحرة تفضح أعمالهم وتشر مساوئهم ومعايبهم فيلزمون بحكم الضرورة أن يقوموا بما أعوج من أمورهم اكتساباً للمديح واستجلاباً لثقة الحكام بهم. والميل إلى المديح خلقه طبيعة في المرء فهو يبذل جهده دونها ولا سيما إذا كان لم يزل فيه شيء من المروءة وكرامة النفس

فاذاً لا عبرة بما يقوله البعض الآخر من أن عدم اشتراكنا بمجلس المبعوثان يفقدنا حرية الكتابة ما زالت هذه الحرية منحة من المنح العمومية التي شملت جميع العثمانيين على السواء بمجرد إعلان القانون الأساسي



ماذا يفيد لبنان اشتراكه بمجلس المبعوثان

أما ما يدعيه فريق من الذين يحملون القواعد الأساسية المبينة عليها نظمات الحكومات الدستورية والقوانين الدولية العامة من أن مجرد اشتراكنا في مجلس المبعوثان لا يلغي امتيازات لبنان فردود أيضاً من جهة أوجه أخصها أن اشتراكنا في هذا المجلس يعد تسليماً معنوياً منا بكامل

يصدره هذا المجلس من القراءات ويضعه من اللوائح ويسنه من الشرائع والقوانين سواء كانت متعلقة بلبنان أو لا وهذا التسليم المعنوي وإن يكن مما لا يعتبر شرعياً في عرف القانون الدولي بالنظر إلى كوننا مقيدين بأرادة الدول الست وليس لنا أن نقبل شريعة جديدة أو قراراً جديداً يتعلق بلبنان من دون رضاها إلا أنه يكون بمثابة حجة علينا لديها لمتنع عن تعضيدنا وتأيد نظامنا يوماً ما إذا ما عمدت الدولة العثمانية إلى ضمنا إليها وإلغاء امتيازاتنا وإلا لما كان صرح معتمد هذه الدول لنخبة من كبار رجالنا سواء كان في سوريا أو في مصر وأوربا بأن حكوماتهم ترغب في تأيد نظام لبنان ولا تستحسن اشتراك اللبنانيين في مجلس النواب العثماني لأسباب يعرفها رجال السياسة

وحسب القارئ شاهداً على ذلك ما صرح به الموسيو دوشانل الخطيب الفرنسي الطائر الصيدت واحد أعضاء مجلس النواب في خطاب سياسي ألقاه في هذا المجلس أخيراً عن خطة فرنسا السياسية الجديدة إزاء الدولة العثمانية بعد انقلابها من حكومة استبدادية إلى حكومة دستورية. قال بعد مقدمة طويلة شرح فيها علاقة دولته بتركيا القديمة والحديثة ما ترجمته بالحرف الواحد

« وفضلاً عن كل ما ذكر فإن فرنسا لا تسمح لأحد أن يمد يده بالاعتداء على سوريا أو على ذلك الجبل العظيم - جبل لبنان -
« تصفيق حاد »

وهب أن دعوى القائلين بوجوب الاشتراك في مجلس النواب العثماني

صوابية وليس ثمة من خوف على امتيازات لبنان فلا يسعنا الا التبرص في الوقت الحاضر لئلا نغضب الدول بأشترنا كما فيه فتكف ايديها عن مساعدتنا ولا يخفى ما دون اعراضها عنا من الضرر البايغ للبنان ولا سيما اذا لم يستتب الامر لا حرار الانراك على ما يشتهون

* *

الوجهة القانونية مقرونة بالقياسات العقلية

بقي علينا ان نبحث في ما اذا كان يمكن ان نتخذ من القانون الاساسي العثماني ما يوافقنا فيصح ان يجري عليه أولا . وهي مسألة قانونية تتعلق بالقانون الدولي العام ويمكن ان تعلق عليها الذبول الطويلة وحسبي ان اقول فيها كلمة تجمع الى جوهر المواد التي تنطبق عليها صفة ما قيل في هذا الصدد :

اذا ما جئنا نطبق احكام القانون الدولي على حالتنا الحاضرة رأينا انه يقضي بالغاء نظام لبنان حيث يخالف الدستور او بالغاء الدستور حيث يخالف نظام لبنان . والحال ان نظام لبنان لا يجوز مخالفته الا بموافقة الدول الموقعة عليه ومن البديهي انه يتعذر على الدول مخالفته او تعديله ما لم تعقد مؤتمرا دوليا يجتمع فيه مندوبوها ويقررون بالاجماع ما يقررونه بشأنه . ومما لا يحتاج الى برهان ان الدول لا تعقد مؤتمرا خاصا لتعديل نظام رأت بالاختبار ان البلاد التي وضع لها جنت منه فوائد جليلة وضمن لها الامن والراحة سحابة نصف قرن . ولذلك اذا كانت هذه الدول تريد ان تحرص على هذا النظام فلائها وجدته صالحا لنا وليس ما يدعوا الى نقضه في الوقت

الحاضر خصوصاً وان تقضه يستلزم اهتماماً خاصاً منها . ومن المعلوم ان جل ما يهتم الدول من امر لبنان ان تحافظ على نفوذها فيه وليس لها فيه مرافق تجارية ولا مصالح سياسية تقضي عليها بجعل مسائله في مقدمة المسائل التي تشتغل فيها دوائرها السياسية فاذا وجهت بعض الاحيان اهتمامها الى مصالحه فمن باب العطف منها والالحاح عليها لامن باب الصالح والمنفعة وحسبها ان يكون نفوذها فيه مؤيداً كيفما كان الحال . فضلاً عن ان لها من مشاغلها الحاضرة في البقاع ما يضعف معه الامل باستعدادها للنظر في شؤوننا في مستقبل قريب . على ان لا شيء يدعو الى الامل بان الدول تغير شيئاً في نظام لبنان ما لم يتحقق لديها انه لم يعد صالحاً لنا ومن الآن الى ان يتحقق لديها ذلك فيجب الا نتدرع بهذا الاعتقاد نترك هذا النظام الذي نعدّه في الوقت الحاضر ضمن لمصالحنا من القانون الاساسي

على اني اقول هذا ولا أنكر ان نظامنا في حاجة الى التعديل والتنقيح لانه انما وضع منذ نحو خمسين عاماً والشعب الذي وضع له في ذلك الحين هو غير الشعب اللبناني في بدء الجيل العشرين ولكن لما كان امامنا طريقتان احدهما واضح آمن ولكنه طويل والآخر قصير ولكنه كثير العقبات فهل من الحكمة ان نختار الثاني نقصره ونحن غير آمنين من سلوكه على حياتنا وترك الاول اطوله وهو واضح لا يخشى علينا في سلوكه من ان تقوم في وجهنا العقبات الكوود ؟ والله لئن فعلنا كان مثلنا مثل السلحفاة والارنب فالطريق الطويل المؤدي الى الغاية المطلوبة انما هو الطريق الذي وضعته لنا الدول والطريق القصير انما هو الطريق الذي سلكه احرار

العثمانيين وذالوا ما قام فيه من المصاعب في وجوههم ولكن احرار العثمانيين
الذين ادهشوا العالم بمعانهم العظم غير احرار اللبنانيين الذين جعلوا لبنان
مضغعة في افواه الامم المتعددة . فهل من احد يضمن لنا انهم اذا سلكوا
طريق اوثلك الابطال لا يرمون بنظام لبنان الى وهدة الاضمحلال
ويوردون اللبنانيين موارد الهلكة . « ليس الخطا لمحمود ولو سلما »

ان نظامنا في حاجة الى التعديل ولكن انظارنا تعديله من الدول
وان حال بنا عهد الانتظار خير من انظارنا اياه من الدولة التي اوردت لنا
شواهد حسية على انها تريد الغاء لا تعديله لانها تعدد لبنان ولاية من
ولاياتها سلخت عنها لعدم وثوق الدول بتقدرتها على صيانة الامن في
ربوعه اما الآن وقد أصبحت دولة دستورية عادلة عزيزة الجانب وبرهنت
لاوربا على انها تريد ان تساوي بين رعاياها وتجري العدل بينهم بدون
تمييز بين مسيحي ومسلم ودرزي وشيعي فهي تعتبر انه لم يعد ثمة من داع
لبقاء لبنان منسلخاً عنها وهي تود من صميم قواها ان تضمه اليها كما تضم
الأم ولدها الى صدرها . وحيداً هذا الضم لو لم يكن دونه اشواك حادة
قد يعجز لبنان الضعيف الناحل الجسم من تحمل ألم وخزها وقد تعود
الرخاء مدة نصف جيل كامل

وهناك ايضاً امر حري بالنظر وهو ان مجلس المبعوثان اجتمع لأول مرة منذ
نصف واثنين وثلاثين سنة ولم يكن للبنان نواباً فيه فقل لي اعرك من اين
اكتسب الآن حق الاشتراك فيه والقانون الاساسي لم يزل هو بنصه ذلك
القانون الذي وضعه شهيد الدستور وقانون لبنان لم يزل كما كان معتبراً من

الدول الست بجميع مواده واحكامه وان تكون امتدت اليه ايد اثمة
وحذفت ما حذفته منه لغرض في النفس . ثم ان اشتراكنا في مجلس
المبعوثان انما هو مشاركة لغيرنا في حقوقه وشؤونهم ومن البديهي ان الاشتراك
يستلزم المبادلة فقل لي بالله باي حق يشارك اللبنانيون الدولة في حقوقها
وشؤونها ولا تشاركهم هي في حقوقهم وشؤونهم



الوجهة العملية

هذا من الوجهة القانونية والعقلية واما من الوجهة العملية فان حرصنا
على نظامنا في الوقت الحاضر مفيد لنا في الخارج كما انه مفيد في الداخل اما
في الخارج فلانه بصفتنا عثمانيين يضمن لنا حق التمتع بجميع ما يتمتع به
العثمانيون من الحقوق والمصالح سواء كان في البلاد العثمانية او خارجا عنها .
اما في الداخل فلانه اذا حل بنا ظلم في الخارج او نزلت بنا مصيبة ما كان
تقطع ارضا منا من بلاد الدولة او يطرأ علينا طارئ فجائي او يحدث انقلاب
ما في الممالك العثمانية اتقلبا راجعين الى تلك الحظيرة الآمنة تتمتع بما يتمتع
به مواطنونا هناك من الحياة الطيبة المنيعة التي ضربت بها الامثال . ومما
يؤثر فيها كانه عن نبي قولهم : « هنيئا لمن له مرقد عنزة في جبل لبنان »



الضرائب ونظام لبنان

من المعلوم ان الضرائب التي وضعها مندوبو الدول على لبنان جعلت
في بادئ الامر ثلاثة آلاف وخمسمائة كيس « الكيس ٥٠٠ قرش » واجازوا

ابلاغها الى سبعة آلاف كيس اي ٣٥ الف ليرة عثمانية عند الضرورة
القضوي وما زاد عن ذلك تدفعه الدولة العثمانية من صندوق النافعة على ما
جاء في المادة السادسة عشر من نظام لبنان المنبث في صدر هذا الكتاب .
ومع ذلك كان اللبنانيون يدفعون هذه الضريبة بصعوبة كلية لان موارد
الرزق في جبالهم قليلة يكاد ايرادها لا يقوم بحاجاتهم مدة ثلاثة او اربعة
اشهر من السنة ولذلك اضطر الفلاح اللبناني الى هجر وطنه على شدة
تعلقه به ضارباً في بلاد الله الواسعة سعياً وراء رزقه وسداً لموزة فنفقد لبنان
بهذه المهاجرة « قد تجاوزت المهاجرة من لبنان حد المعقول في السنوات
ال عشر الاخيرة حتى قدر عدد المهاجرين منه حتى سنة ١٩٠٨ بما لا يقل
عن ٣٥٠ الف نسمة » نحو نصف سكانه وفلت لا يدي المشتغلة في ارضه
فاهمات وتمحص ايرادها نصف ما كان عليه قبل المهاجرة بحيث اصبحت تلك
الضرائب التي كانت مقدرة حيناً وضمت على نسبة ايراد الارض في ذلك
الحين وقرأ ثقيلاً على عواقب اللبنانيين لا قبل لهم على احتماله .

ومن المعلوم انه لما وضمت هذه الضرائب كان سهل البقاع المشهور
بخصب تربته قابلاً للجبل فقدّرت الضرائب اذ ذاك على نسبة محصول
اراضي الجبل مع اعتبار ذلك السهل المخصب داخلاً فيها . فلما جاء فرنقو
باشا وسلخه عن لبنان ضاقت سبل الرزق في وجوه السكان وفلت موارد
الايراد عندهم بحيث اختلفت الموازنة بين الايراد والضرائب وباتوا يائسون من
فداحتها ويشكون من الضيق الذي حل بهم وضلت هذه الضرائب على
ما كانت عليه مع ان المعدل كان يقضي بتعديلاتها على نسبة ما وقع من المعجز

في الإيرادات على أثر الخاق أراضي البقاع بولاية سوريا على ما قدمنا .
على أنه لو كانت البلاد في رخاء يمكنها من دفع هذه الضرائب لما
ضج سكانها بالشكوى وبلغ ضجيجهم عنان السماء حتى قام يوسف كرم على داود
باشا مزبداً مرعداً واحتج عليه لا بلاغه مال الجبل إلى سبعة آلاف كيس مع
أنه لا شيء كان يدعو إلى ابلاغه هذا الحد ومع هذا قد أخذت الدولة على
عاقبها دفع العجز الذي كان يحصل في ميزانية الجبل ونمناً عن هذه الزيادة
بخاء بعد ذلك رستم باشا واقتصد جداً في رواتب المأمورين وزاد بعض
رسوم ليصبح مال الجبل كافياً لسد نفقاته ويستغني بذلك عن المساعدة
التي كانت الدولة تدفعها إلى حكومة لبنان من صندوق النافعة كما المعنا
آنفاً وهي أجل خدمة كان يمكنه أن يؤديها إلى الدولة في ذلك الحين
فإنها غير مكترث لاحتجاج المحتجين واعتراض المعارضين وجاء عمله هذا
مقدمة لسلسلة أعمال من هذا النوع داس حكام الجبل في الاتيان بها على
أقدس حقوق اللبنانيين وحرموهم اعز امانتهم واقصى آمالهم . فقامت القيامة
عليه وكان ما كان من تلك الحركة المشهورة امرها التي أثرت في الجبل دفاعاً
عن صالح وطني عام . ولم يزل مجلس إدارة الجبل يضع في الميزانية السنوية
هذا المبلغ الذي كانت الدولة تعطيه للجبل ويحسبه ديناً للجبل عليها
حتى الآن

فينتج من ذلك ان اللبنانيين بعد أن سلخت أراضي البقاع عن جبلهم
وهاجر الدواد الأعظم من الطبقتي الوسطى والسفلى منهم أصبحوا في حال
من الضنك تعد معه أقل زيادة على الضرائب المفروضة ظلماً في أهله

وخرقاً في الرأي

ومع ذلك لم يقتصر المتصرفون على هذا القدر من الضرائب بل انهم توسعوا فيها الى حد جاوز مقدرة اللبنانيين كما يتبين من الجدول الآتي :

جاء في كنوز لبنان المرصودة ما يأتي :

قال يونث في الرجوع على خزانة الدولة بسبعة الاف كيس ما ترجمته :
« ان الاعانة التي منحتها الخزانة الشاهانية سنة ١٨٦٢ وقدرها ٢٠ الف ليرة عثمانية قد تقصت بالتابع بجهد المتصرفين . وفي سنة ١٨٨٠ امكن التنسب بين الميزانية والنفقات ولكن هذه النتيجة المرضية لم يمكن نيلها الا بواسطة بعض المكوس الاضافية كزيادة نفقات القضاء وبعض الضرائب المدعوة بالمهمات على الاغنام والماعز واجازات الصيد والجزاء القمدي ورسم التفتاك وضريبة نصف ريال مجيدي على مكاني المتن وربع مجيدي على سائر الاقضية . وقد قضى بهذه المكوس الاضافية بقوة السلطان المعطى للمتصرف في المادة الاضافية على نظام ١٨٦١ » « وقد ذكرت هذه المادة في محلها »

وقد قدر ايراد خزانة الجبل بعد اضافة هذه المكوس اليه بزهاء ١٩٠ الف ليرة عثمانية مفصلة على الوجه الآتي :

ليرة عثمانية

٣٥٠٠٠ المال المحدود وهو المال الاميري الموضوع على الاقس والاملاك
فلا يزداد الا بقرار وفرمان وقد سمحت المادة الاضافية بزيادته
مرة واحدة

ليرة عثمانية

٣٥٠٠٠ مال المهملات منه ١٥٠٠٠ ليرة عثمانية رسوم تعداد النور

والعرب الرحل وتعداد الماعز ورسوم الاغنام

والجزء النقدي الخ و ١٠٠٠٠ ليرة عثمانية عوائد الاراضي المعروفة

بالبيكاليك السلطانية في الكورة والشوف وجزين و ٥٠٠٠ ليرة

عثمانية قيمة ما تناوله الحكومة من شركة التبناك لقاء احتكارها

هذا الصنف في لبنان احتكاراً افقد البلاد ما يوازي مجموع

الضرائب الموضوعة عليها و ٥٠٠٠ ليرة عثمانية من شركة حصر

التبغ لقاء سماح الحكومة لها بعمل امكنة في الجبل لبيعه وتخليكها

الف متر على دائرة لبنان مدة هذه المساولة . اي ان للشركة

الحق بمطاردة مهربي التبغ اللبناني على مسافة الف متر في

خراج الجبل وهو امتياز من الغرامة بثمان

٢٣٠٠٠ مال النافعة . اي مال اصلاح الطرق وهو عبارة ضريبة ربع

ريال مجيدي في جهات ونصفه في جهات اخرى . ورسوم

المركبات وهي عشرة ريال على كل مركبة . وقيمة ما احدثه

نعوم باشا ومظفر باشا من الرسوم

٨٥٠٠٠ مال الانشاء . وهو المال الذي تحصله الحكومة من الاهالي

عند انشاء الطرق والجسور وسائر المنشآت وعند توسيعها

او تجديددها

١٢٠٠٠ ايراد المحاكم والمحصولات . وهو قيمة ما قدر لها كم الجبل العشرة

نيرة عثمانية

من الإراد اذا اعتبرت سنتها ٣٠٠ يوم ودخل كل محكمة منها ٦
دعوى كل يوم وقدر رسم كل دعوى خمسون قرشاً فقط .
ورسوم التسجيل . وقيمة الرسم « المحصول » الذي يؤخذ
على الاموال التي يحكم بها على ايدي القائمين والمديرين

١٩٠٠٠٠ المجموع

واذا اضفنا الى ذلك مقدار ما احده يوسف باشا فرتقو متصرف لبنان
الخال من الرسوم والضرائب على المحاكم والانفس والاملاك لبلغ المال
الموضوع على لبنان ما لا يقل عن مائتي الف ليرة عثمانية . ولو قدر العدد
الباقى في لبنان من اهاليه بثلاثمائة الف نفس لاجاب كل نفس منهم من
هذه الضرائب نحو ٨٥ قرش في السنة وهو فوق ما يمكن للبناني ان يتحملة
من الضرائب لان هذه القيمة قد تزيد في نقل تعديل عن ١٥ بالمائة من
اراده السنوي مع ان العثمانيين الذين كانوا يثنون تحت ثقل الضرائب لا
يدفعون اكثر من العشر في حين ان اسباب الرزق وموارده ميسورة عندهم
اكثر منها في لبنان

فاذا اتقرر هذا فلا نعلم كيف يريد احرار اللبنانيين ان يلحقوا جبلهم
بالدولة وهي في بدء نشأتها ولا يعلم بعد شيء من امرها خصوصاً وانها لم
تعودنا لعهد الحكومة الاستبدادية الماضية التي نظر اليها بعين الثقة . وحالتها
الآن وهي لم تكده تخرج من المأزق الخرج الذي حشرها فيه اعداؤها في
الداخل والخارج مدة اجيال عديدة تستدعي فرض الضرائب النادرة على

رعاياها لكي يتمكن من اصلاح ماليتها وادخال الاصلاح الى بلادها لان المال عماد القوة وموردها الوحيد فان فسدت المالية فسد كل شيء في الدولة وان صلحت صلح كل شيء من امورها وشؤونها . ومما لا مشاحة فيه انه لا يمكن ان يشترك اللبنانيون في الدستور العثماني وينتفعون به اسوة بسائر العثمانيين من غير ان يشتركوا في هذه الضرائب التي لا يمكن ان يجري اصلاح حقيقي يترتب عليه نفع محسوس من دونها . وهذه الضرائب لا يترتب عليها فائدة ما لمعشر اللبنانيين وان ترتبت عليها فلا توازي قيمتها عشر ما يفرض عليهم من هذه الضرائب لان ارض لبنان ارض صخرية قاحلة وما يزرع منها يكاد يراده لا يفي بحاجة سكانه مدة من السنة على ما قدمنا وما يمكن ان يصلح من اراضيه بعد الجهد والعناء اصابع بحيث لم يبق فيه شبر من الارض لم يستعمل حتى ان من يتجول فيه ويرى ما يقاسيه سكانه من العناء في حرث الارض واصلاحها ويعلم كيف انهم يطحنون الصخور العظام طمعاً ببضعة امتار من الارض يكتسبونها ويحولونها الى منابت صالحة للزراعة فانه يعجب بالارباب لهمتهم السماء ونشاطهم الغريب . فاذا كان هذا حال لبنان من ضيق سبل الرزق وفلة موارد الثروة فاي اصلاح مادي يرجى له لتفرض عليه ضرائب جديدة واي مورد من موارد الثروة يمكن اصلاحه والشروع في استثماره ويكون لمعشر اللبنانيين من ايراده ما يقوم بسد هذه الضرائب اما في الولايات حيث كان الفلاح يثن من ظلم مأموري الاعشار ويشكو فداحة الضرائب فليس الحال كما هو في لبنان . فاذا فرضت ضرائب

جديدة على الفلاح العثماني فبكل حق وصواب فانه يجني منها فوائد لا يحلم
 بها الفلاح اللبناني لان الاصلاح سيتناول بلاده وتنتشر راية الامن على ربوعها
 فيأمن على رزقه وروحه ويصرف اهتمامه الى حرث ارضه والاعتناء بها
 وراضي الدولة خصيبة كما لا يخفى فاذا ما أرويت على الطرق الهندسية الاخيرة
 كما تنوي الدولة ان تجري في الاراضي الواقعة بين الدجلة والفرات وعضدت
 الحكومة المزارعين وارشدتهم الى خير الطرق المؤدية الى تحسين مزارعهم
 كما هو المنتظر حسنت حال الفلاح العثماني واستعاض عن الضرائب التي
 تفرض عليه باضعاف اضعافها وهناك ابواب رزق اخرى غير هذا الباب
 يستعوض بها ما يفقده من الاموال في سبيل الوطن اما اللبناني ولا سيما
 الفلاح فما هي ابواب الرزق التي تفتح في وجهه اذا ما ضم لبنان الى الدولة
 وما هو الايراد الذي يمكنه ان يحلم به اذا ما اشترك في الضرائب الجديدة
 وبلاده فاحلة مجدية لا زراعة فيها يرجى اصلاحها ولا صناعة يمكن ترقيتها
 وتعميمها ولا معادن يطعم في استخراجها ولا مشاريع عمومية يمكن
 الاستفادة منها فائدة حقيقية فهي بلاد سحيقة ضافت على سكانها فهجروها
 بالآلوف ومئات الآلوف سعيًا وراء الرزق وجلًا ما يمكن اجرأؤه فيها من
 الاصلاح ان تهيأ على وجه تصير صالحة معه لاصطياف الطبقات العليا
 والوسطى من سكان القصر المصري في ربوعها الجميلة وموسم الاصطياف
 كما هو مشهور من موارد الثروة المهمة لكل بلاد مستعدة له استعداداً
 طبيعياً كالبنان وهو اصلاح ميسور لمشر اللبنانيين انفسهم من غير ان يكون
 لبنان ملحقاً بالدولة لاصفاً بها كما يريد احرارهم

الأكليروس ونظام لبنان

أما قولهم عن الأكليروس والاعيان بأنهم اصحاب الحول والقوة في لبنان وأنه يخشى اذا بقيت الحال على ما هي عليه الآن ان يظلوا محكمين برقاب اللبنانيين وانهم انما يحرضون الشعب اللبناني على التمسك بامتيازاته لان لهم من هذه الامتيازات ما يؤيد سلطتهم عليه ويزيدهم تمسكاً بامتيازاتهم القديمة فهو قول سخيّف نرد عليه بقولنا انه لا خوف على اللبنانيين من تدخل الأكليروس في شؤونهم الزمنية لان هذا التدخل انما كان في كل وقت اكبر دعاية لحفظ ما بقي من نظام لبنان وافوى حاجز وضع بين مطامع الحكام ومصالح الشعب اللبناني وكم من مرة عمد المتصرفون الى وضع ضرائب جديدة واستعباط حيل شيطانية لالغاء كثير من مواد النظام اللبناني لو لم يعارضهم رجال الأكليروس ويقفوا في وجوههم ويحتجوا لدى الدول الاوربية على اعمالهم المنكرة وما زال كثير من مسودات التقارير التي رفعتها المقامات الدينية الى المراجع الايجابية دفاعاً عن مصالح لبنان محفوظاً في هذه المقامات حتى الآن . وما يقال عن الأكليروس ينطبق على معظم الاعيان . ومع ذلك اي وقت من الاوقات قام الشعب بحركة يقصد منها الدفاع عن صالح وطني ولم يعضده رجال الدين بل اي وقت مال هذا الشعب الى وضع مشروع نافع للبلاد ولم يمكن رجال الأكليروس والاعيان في مقدمة المشتركين فيه والمعضدين للتأميم به فهذا مشروع جبر المياه في جهات كثيرة من لبنان من وضع اول

فكرة فيه غير الاكليروس ومن عضد القائمين به سواهم ومن شجهم عليه
وكان اول من اكتتب بالاموال لاجراجه الى حين العمل غيرهم
سمى حبيب بك غانم احد مديري شركة المباحث المصرية واحد
كبار رجال السوريين الذين اضطرت قلوبهم غيرة على مصالح بلادهم الى
جر المياه من بعض الينابيع في لبنان الى جهات كثيرة منه فن عضده في
مشروعه من الشعب اللبناني مع ان المشروع عظيم تتوقف عليه حياة
مقاطعات كبيرة تشغل قسماً مهماً من قلب جبل لبنان او لم يكن احرار
اللبنانيين اول من ثبطوا همته وامتنعوا عن تعضيده وهل وجد من يرغب
في انجاح البلاد رغبة حقيقية الا بين الاكليروس ؟

ذهب غانم بك الى لبنان في صيف سنة ١٩٠٨ وخبر بعض
الاكليروس ووجهاء اللبنانيين في مشروعه الجليل ووضع قانوناً له وطبعه
ووزعه عليهم ليطالعه ويبدوا آرائهم فيه فاستحسنه الاكليروس ونشطوا
غانم بك باشتراكهم في المشروع اشتراكاً فعلياً واما الذين خابروهم بشأنه من
افراد اللبنانيين فاستحسنوه ولكنهم لم يشتركوا فيه ولم يأتوا عملاً يدل على
رغبتهم في هذا الاشتراك واستعدادهم لحث مواطنيهم على الاقبال عليه
وليس ذلك فقط بل انهم لم يطالعوا القانون الذي وضع له ملتصقين عن
ذلك عندهم كما كان يشغلهم وقتئذ من امر الوظائف

وربما اعترض علي معترض بقوله : انه لما قام احد وجهاء السوريين يريد
جر مياه نبع العسل الى قرى كسرون واعطى رخصة بذلك من مجلس
ادارة لبنان لم يشأ الاكليروس ان يعضدوه ونعا كسه منهم من ترتب على

معا كسته له فشله في مشروعه مع ان المشروع مفيد جداً ولا سيما للاكليروس
فان هذا الاعتراض وجيه ولكن من اطلع على تلك الشروط المدونة
في المضبطة الصادرة من مجلسنا الموقر اتضح له لاول وهلة ان الشروط
التي بنى عليها المشروع مجحفة بحقوق الاهالي اجحافاً يئناً يتحتم معه على كل
عاقول محب خير بلاده ان يحذر مواظبته من الاشتراك بالمشروع. ولولا خوفي
من ان تذهب بي الافاضة في هذا الموضوع الى الخروج عن الموضوع
الذي نحن في صددده لينت فساد هذه الشروط بما لا يعود معه سبيل
لمعتراض الى لوم الذين تخلفوا من عليّة الاكليروس عن تعضيد صاحب
المشروع وتشويق الاهالي الى الاشتراك به

على ان الحقيقة التي لا مراء فيها ان اولئك الاكليروس لم يعاكسوه
ولم يعضدوه بل انهم وقفوا على الحياء متفرجين يرقبون ما يجري حولهم
وهم سكوت كأن على رؤوسهم الطير كما تحققت ذلك بنفسي

تلك حقيقة اجاهر بها على رؤوس الاشهاد غير مكترث لما قد يقال
عني من اني صنعة اولئك القوم لا ينتظر مني غير الدفاع عنهم لانها حقيقة
ليس على الناطق بها من تكبر ولواقفون على مجاري الامور في لبنان يعرفونها
حقيقة ناصعة معرفتي لها

فكم من عمل جليل قامت به هذه الطغمة في سبيل لبنان وهي لا
تلتبس من الاتيان به اجراً او ثواباً وبقي امره مكتوماً لحكمة لم ادركها مع
انه كان يجب عليهم ان يبينوا للمشغلين في تسفيه آرائهم وتسويد صفحاتهم

ما اتوه من الاعمال وبذلوه من المساعي في سبيل انجاح الوطن لما يتعلق
على هذا التصريح من دفع الشبهات اللاصقة بهم ولكنهم قوم انما كانوا
يشغلون خير البلاد لانهم كانوا يعتبرون اشتغالهم في مثل هذه الامور
العمومية من اقدس واجباتهم ومن قام بالواجب يلزمه الا ينتظر على عمله
مكافأة او شكراً ولكن قيام المرء بالواجب لا يدعو الى كل هذا الاحتراس
ولاسيما اذا كانت الظروف اللازمة لحالة القائم بهذا الواجب تستدعي
بعض التصريح دفعا للشبهات وردا لكيد أعداء الوطن الى نحورهم

هذا من جهة ومن جهة أخرى فلم يقم حتى الآن في الشعب اللبناني
من كان كفوءا للدفاع عن حق وطني عام ولو فرض جدلا أنه وجد فمن
يعارضه من رجال الاكبروس اذا كان مخالصا في دفاعه يشغل عن رغبة
حقيقية في مصلحة بلاده لا حبا بالوظائف او قضا لمصلحة خصوصية
ثم ان تدخل الاكبروس في شؤون لبنان انما كان سببه ضعف الشعب
اللبناني ولم يعودهم ذلك الا اللبنانيون انفسهم فهم يتعجبون اليهم في جميع
شؤونهم بحيث لا يجري أمر في لبنان من غير ان يكون لهم فيه شأن
على حد ما قيل : « في كل واد أثر من ثعلبة »

قال البستاني العلامة اللبناني الشهير عن رجال الدين في كتابه « الدولة

العثمانية قبل الدستور وبعد » ما نصه :

« فانهم لا يزولون في جميع البلاد العثمانية ذوي المكانة العالية والنفوذ
البعيد . فاذا تقدموا على هذا التهج القويم تبعهم امم وزادوا مكانة واحتراما
واطالوا حياة نفوذهم ومكنوا سعادة مواطنيهم » . الى ان قال : « ولما وقعت

حوادث سنة ١٨٦٠ ووجد القليل المسلم مطروحاً في احد الازقة وناثرت تلك النائرة في صدور الاهالي توقع جميع الاشرار حدوث مذبحة ترتعد لها الفرائص ومع هذا فان الشيوخ منا يروون ما شاهدوه من تعاضد الشيخ محمد الخوت والمطران بطرس البستاني ذلك التعاضد المكين وتأخيهما وكلاهما من جلة خدمة الدين وما انقضت تلك السنة والتي بعدها حتى اخذ وجهاء المدينة بمؤازرة البعض من رجال الدين ينظرون في الوسائل المؤدية الى تبديد الاحقاد فما اتت سنة ١٨٧٢ حتى كانت تألفت منهم جمعية هذا غرضها . « ثم قال : « ولقد طالما شكنا الناس من بعض خدمة الدين استبداداً بضاهي استبداد الحكام ولا غرو بذلك فانهم ذوو سلطة وكل ذي سلطة آتس ضعفاً وجهلاً بمن حوله مال الى الاستئثار بالحول والطول . ولقد طالما قيل فيهم ايضاً ما يقال في ضعاف الحكام من سياسة التفريق حرصاً على سيادتهم الخ »

فاذا كان هذا شأن اللبنانيين مع رجال دينهم فلماذا لا يستقلون عنهم اذا كانوا يأنسون من انفسهم مقدرة على العمل من دونهم وماذا يلجئونهم الى التداخل في امورهم ويتضاءلون امامهم ذلك التضاؤل الذي يفتح لهم السبيل للاستئثار بالنفوذ ومع هذا فان الحرية التي حصل عليها اللبنانيون من شأنها ان تقال من هذه المداخلات وتضعف مفعولها ولا بد ان تقوم ما اعوج من الخطة التي يتبعها بعضهم لان افلام الكتاب تناول ما فسد وصاح من امورهم فتتفدها وتمحصها ولا ينبغي ان الحذر من الانتقاد وحده كاف لتعديل خطة الاكايروس وجعلها منطبقة على رغائب الشعب اللبناني وما

زالت حرية المطبوعات التي ايجت لهذا الشعب كافية وحدها لا اصلاح
الحال اصلاً محسوساً فلم يعد ثمة من حاجة الى الانضمام للدولة تخلصاً
من سيطرتهم ونفوذهم ولا سيما اذا كان من مصلحة الدولة ان تشد ازورهم
وتراني مصالحهم مراعاة كل حكومة حكيمة عاقلة لاي جمعية قوية محترمة
عزيزة الجانب . فاذا تقرر ذلك (ولا اخال المتنورين من احرار اللبنانيين
يشكرونه) فتكون دعواهم بانهم يطلبون الانضمام الى الدولة تخلصاً
من سيطرة الكليروس باضلة او على الاقل غير كافية لحمل شعب برمته
على التنازل عن امتيازات لا تذكر الى جانبها امتيازات الكليروس التي
يئن اولئك الاحرار منها ويستثقلون وقرها على عواقبهم

على اني لا انكر ان من الاعمال التي يأتينا بعض اقرباء الكليروس
والمنتسبين اليهم ما هو خارج عن الاعمال المشروعة الممدوحة ولا انكر ايضاً
ان من الكليروس انفسهم من ليسوا على الصراط المستقيم الذي يتحتم عليهم
اتباعه وفي سيرتهم ما يوجب الانتقاد ولكن المنتقد يجب ان ينظر الى هذا
الفريق منهم نظر الحكيم العاقل فيعترف اولاً ان بين انساب الامراء والملوك
انفسهم من يفسدون في سيرتهم المعوجة ما يقوم به اولئك الملوك من الاعمال
الجليلة وان بين كل مجموع مما عظم شأنه وصالحته خطئته واستقامت اعماله
وصفت نواياه افراداً فاسدي السيرة سيئي السيرة لا يصح ان يكونوا
اعضاء عاملين في هذا المجموع فهل من الصواب ان تقول في هؤلاء
الملوك ما لا يطلق على احقر الناس شأناً واسفهم رأياً لاعمال فاسدة انماها
غيرهم بمجرد اتساع هذا الغير اليهم او من الادب ان نصم ذلك المجموع

كله بوصمة تردد في الصافيها بأحققر المخلوقات لجرد قيام بعض افراده
بأعمال فاسدة هو بري منها وبعيد عنها بعد الارض عن السماء
وللمسألة وجه آخر لا يخلو البحث فيه من فائدة . ان المقامات
الرسمية في اوربا تعتبر الاكثروس المازوني قادة الشعب اللبناني وزعماءه
الحقيقيين وهم على صواب فيما يعتقدونه لان الاكثروس منذ سنة ١٨٦٠
هم اصحاب النفوذ الاكبر والسيطرة التامة على الشعب اللبناني وقد حلوا في
في ذلك محل الامراء والمشايخ . ومما زاد في نفوذهم انهم قابضون على
زمام الثروة في البلاد والثروة كما لا يخفى اساس القوة ومورد النفوذ فلا غرو
اذا كانوا مسموي الكلمة مرعي الجانب من المقامات الرسمية في اوربا
خصوصاً وان الاوربيين يعرفون حق معرفة ان لبنان متوسط في بلاد
هي مهد الاديان وان خدمة الاديان فيها يمثلون حقيقة الشعب الذي
يدين بدينهم وانهم اذا ما ابدوا رأياً او طالبوا بحق مهضوم او استرحوا
او استنجدوا دولة اوردية فانما يكونون يفعلون بالنيابة عن مواطنيهم
ويعربون عن ميل شعب برمته ولذلك لم نسمع مرة ان الشعب اللبناني
لأن حقاً مهضوماً او فاز بمنحة ما من دون وساطة رجال الدين وهي حقيقة
لامراء فيها يدركها كل من له الملم بما الاكثروس من النفوذ والسيطرة
على الشعب اللبناني . وزد على ذلك انهم وطنيون كسائر اللبنانيين لهم ما
لهم وعليهم ما عليهم فان اشتغلوا لصالح لبنان فانما يشتغلون عن صدق نية
والخلاص تام

فما زال الامر كذلك وما زلنا مفتقرين الى رجال يخلصون النية لنا

ويشتغلون بخير بلادنا ولا نجدهم الا بين الاكليروس وما دام سراننا
واعياننا لا يحركون يداً لنصرتنا وكلنا مهمهم بشؤونهم الخصوصية فلندع
الاكليروس يهتمون هم بمصالحنا الى أن يقوم منا أناس يكفون ايديهم
ويغنون البلاد عن مساعدتهم واعمالهم . ونحن الخبر من كل انسان بما يعماله
او تلك القوم خير الجبل خلافاً لما يتوهمه بعض الجبالاء من انهم يعملون على
ضرر دولنا ما في التصريح بذلك من الملاحظات والمحذورات لا وردت
اكثر من شاهد حسي تأييداً لكلامي لا سيما وانا اعلم علم اليقين انه لا
بد ان يهمني السواد الاعظم من القراء باي محمول الدفاع عنهم مضطربكم
الظروف التي اوجدني فيها اتسائي اليهم الى تبليض صفحاتهم وتفي ما اتهمهم
به اعداء الوطن والدين ظالماً وافترء من انهم انما يحرصون القوم على الاحتفاظ
بنظام لبنان صيانة لمصالحهم وحرصاً على نفوذهم وسلطتهم



شعار الدولة ونظام لبنان

ان شعار الدولة العثمانية : الاخاء والحرية والمساواة . اما الاخاء فهو
موجود عندنا منذ القدم ولنا من عاداتنا واخلاقنا وتراثنا المسيحية اقوى
دافع اليه وقد شهد لها الاجانب انفسهم به وكفى بما يجري عندنا في المآتم
والافراح والمجتمعات العمومية وفي كل ظرف من الظروف التي كانت
تستدعي تأخي افراد الشعب اللبناني ونضايرهم كان يخرجهم بعض الاحوال
الى الخروج على عدو خرق حرمة جامعهم القومية او استباح اموالهم
وارزاقهم ونكث بعهده معهم او استذلهم او عرض لهم امر يدعوا الى التآزر

كأن يستبد حاكم بهم ويستأثر بمرافق بلادهم الى غير ذلك من الاسباب
التي تستلزم التعاون والتعاقد على دفع شر وجلب منفعة كفى بكل ذلك
دليلاً على وجود روح الاخاء بينهم مستحکم الخلفات متمكناً من قلوبهم
اما الحرية فليس في نظام لبنان ما يحظرها على سكانه واذا كانت
محظورة عليهم لعهد الحكومة الاستبدادية الماضية فما ذلك الا من اهلهم
وتراخيهم ولو طالبوا الدول بها في ذلك العهد وثبتوا على الطلب والحوار به
لما وجدت هذه الدول سبيلاً الى الرفض ولكن لهم من المراقبة الشديدة
التي جرت لعهد الحكومة الماضية مجرى الامثال بعض العذر عن
اغفالهم هذا الامر الذي تغفروه لهم كما تغفرونهم اموراً اخرى كثيرة هي
من اقدس حقوقهم المهضومة ولم يقعدهم عن المطالبة بها سوى ما اشتهر
عن رجال المايين من الانانية والظلم . وقد صرح غبطة بطريرك الموارنة
في حديث جرى له مع القائم مقام سعد الدين بك مندوب جمعية الترقى
في سالونيك أثناء زيارته له في الديمان في الصيف الماضي بما لا يخرج عن
هذا المبدأ مما لا حاجة بي الى تكراره هنا

اما الآن وقد انقضت دولة الاستبداد واندرت معالم الظلم واطلقت
الاقلام من معاقها والالسة من مرافدها وزالت المراقبة والمراقبون فلم يعد
من سبيل الى الاشفاق على حريتنا من سطوة حاكم مهمل شأنه وبتنا
نتوقع لوطننا العزيز فوائد جليلة من وراء هذه الحرية على ما جاء في عرض
الكلام عن الاكليروس

اما المساواة فمن الامور التي ورد عليها نص صريح لا يقبل التأويل

والتخريج في نظام لبنان وقد خصها مندوبو الدول الست الذين وضعوا هذا النظام بهذا النص الصريح لما روي لهم من ظلم الحكام في الرعية حتى سنة ١٨٦٠ وخصهم الاعيان واصحاب الثروة في البلاد بمنح وامتيازات كانوا يتوارثونها خلفاً عن سلف حتى جرت في الجبل مجرى القواعد المقررة واصبح اولئك الاعيان اصحاب الحول والطول في البلاد يتصرفون بشؤون اللبنانيين تصرف المالك المطابق بملكه كما هو معروف عند كل من عرف شيئاً من تاريخ لبنان . فكان اول ما وجه اولئك المندوبون اهتمامهم اليه مسألة هذه الامتيازات التي كانت السبب الاكبر في مذبح سنة ١٨٦٠ المشهورة فالفوها إلغاء تاماً وجعلوا المساواة بين افراد الشعب عامة شاملة لجميع الامور وعلى هذا الاساس بنوا النظام الذي وضعوه لنا . ولم يستثنوا من ذلك الا الوظائف وذلك لحكمة تقضي ظروف الحال والمراكز المخصوصة التي كانت تشغلها كل طائفة من الطوائف التي يتألف منها الشعب اللبناني برعايتها والعمل بها فأروا ان الضرر البالغ الذي اصاب الموارنة في حوادث سنة ١٨٦٠ يدعو الى تمييزهم عن سواهم خصوصاً ومنهم يتألف معظم الشعب اللبناني فأروا ان يعيظهم ما فقدوه من الاموال والارواح عملاً بما يقتضيه العدل . فخصوهم بشيء من الوظائف الكبرى والوظائف العسكرية وجعلوا عددهم في الوظائف الصغرى ضعف عدد موظفي الطوائف الاخرى . وفي ما خلا ذلك فلم يميزوا طائفة عن الاخرى بشيء ولم يمنحوا اصحاب الامتيازات القديمة من اعيان الجبل ما يساوي قلامة خضر منها . فاذا كان حكماء لبنان آمنوا من اللبنانيين ضعفاً وخملاً وتقصوا احكام

النظام ولم يعملوا بكل مواده ولم يراعوا قاعدة المساواة في تعيينهم المحكام
المحلين والجراء العدل بين الرعية على ما تقتضيه هذه القاعدة فما ذلك الا
لتقاعد اللبنانيين عن الاخذ بأيدي اولئك المحكام وارشادهم الى مواقع الخلل
من شؤون الجبل ولا غرضناهم عن هفواتهم والجلاتهم بما كان يدس بعضهم
لبعض من الدسائس الى مخالفة نظامهم والجري معهم على ما تشاء احوالهم
وتستلزمه سياسة الدولة العثمانية في ذلك الحين . اما النظام بمحد ذاته فقد
كان وافياً بحاجات الجبل في ذلك العهد وكان يرجى ان ينجي اللبنانيون منه
اضعاف ما جنوه من الفوائد لو احسنوا تطبيقه على احوالهم وحاجاتهم ولم
يمهدوا المحكام الجبل سبيلاً الى نقضه والخروج عن احكامه الى ما يطبق
على مشرب الدولة ويوافق سياستها

والخلاصة ان شعار حكومة تركيا الدستورية الجديدة الذي هو « اخاء
حرية . مساواة » متوفر لدينا في نظامنا الخصوص ولا حاجة بنا الى الاشتراك
بمجلس المبعوثان او الانضمام الى الدولة للحصول عليه . اما اذا كان غرض
احرار اللبنانيين من طلب الاشتراك او الانضمام غير ما قدمنا فدوتهم من
الادلة والبراهين . الا يقع تحت حصر وهذا نموذج منها :



ما يقال في ضم لبنان الى الدولة

يقال ان الدولة لا بد ان تضم لبنان اليها عاجلاً او آجلاً سواء رضيت
الدول بهذا الضم او لم ترض وعليه فلا فضل لنا ان نطلب الانضمام اليها
من تلقاء انفسنا لئلا نكرهنا عليه يوماً ما خصوصاً وان لنا في هذا الانضمام

قوائد جلي لا تخفى على ذي عينين

والجواب على ذلك ان الدولة مهما عظم شأنها في عين اوربا يتي لها
من مشاغلها ومشاكلها الداخلية والخارجية ما يصرف نظرها عن ذلك حيناً
من الزمن ولا سيما اذا تبين لها ان القوائد التي تجنيها منه لا توازي الخسائر
التي تكبدها في سبيله . ومن الآن الى ان يتاح لها ان تفكر فيه اما ان
تكون اذ ذلك قد اصبحت دولة قوية عزيزة الجانب واستتب الامر
لاحرار الاتراك وتوطدت دعائم الدستور فيها او لا فان كان الاول فلا حرج
على اللبانيين من ان يطلبوا انضمامهم اليها وادماج جبلهم في سلك ولاياتها
ولا نخل الدول الاوربية تمتنع حينئذ عن الموافقة على هذا الضم كما اننا
لا نخل الدولة العثمانية ذاتها تمتنع من اجابة اللبانيين الى رغبتهم هذه التي
هي من اعز امانيها خلافاً لما زعم بعض المتفلسفين من انها متى بلغت اشدها
تضرب باللبانيين عرض الحائط وتدعمهم يندبون حظهم الى ما شاء الله لانه
لا شيء يدانا على ان دولة من الدول مهما عظم شأنها او حق تعرض عن
شعب يعرض عليها ان تضمه الى رعاياها وتلحق بلاده ببلادها ولا سيما
اذا كانت هذه البلاد متوسطة بين مقاطعات هي للدولة بمنزلة القلب من
الجسم والا امد رفضه ضرباً من ضرور السياسة الخرقا، وخطاً فاضحاً قد
لا تقع فيه احقر الدول شأننا بل اقلها اختباراً للامور واضعفاً نظراً في
الشؤون الدولية واكثرها جهلاً لمصالحها الخصوصية

واما اذا بقيت دولتنا العثمانية ضعيفة معتلة لا يرجى من انضمامنا اليها
نفع فلا نخلها تقوى على ضمنا اليها عنوة ولا الدول الاوربية توفقها على

هذا الضم ما زالت لم تورد لها الشواهد الحية على ثبالة قصدها منه ولم
تحسن سياسة رعاياها وذلك لشفاقاً من هذه الدول علينا من حيف يحل
بنا وشر يقع علينا ان هي وافقت الدولة على الخافنا بها بل ضناً منها على
نظام عنيت بوضعه اشهراً ومكنت به الامن والراحة من بلاد بسطت عليها
حمايتها سحابة نصف جيل كامل فلا تريد ان تلغي هذا النظام من غير
ان تجد لهذا الشعب الذي شملته بعناية خاصة كل هذا الزمن نظاماً آخر
اضمن لمصالحه واكثر انطباقاً على حاجاته وملائمة لحاله. كلا انها لا تقدم على
هذا العمل ولا سيما اذا كانت الدولة التي ترغب في ضم هذا الشعب اليها
لم تحسن بعد ترتيب بيتها قبل ان تهتم بترتيب بيوت الآخرين . وان
اعترض قوم على هذا البرهان بقوله : انه ليس للسياسة قاب كما يقول الافرنج
ولا يهم الدول ضمتها الدولة اليها او لم تضمنا . فلنا من نفس اعتراضه حجة
عليه . لان هذه السياسة التي يقال فيها ان ليس لها قلب اي انه لا تراعى
فيها العواطف والاميال هي نفسها تقضي على الدول بالمخدر الشديد من
الدولة والتفكير طويلاً قبل موافقتها لها على ضم لبنان اليها لانه لا يبقى اذ
ذلك من سبب لرعاية حاسات الدولة العثمانية لا من هذا القبيل ولا من
غيره ولا سيما اذا هب اللبنانيون للمناصرة عن امتيازاتهم القديمة العهد بنا
عز وهان واستنجدوا بالرأي العام في اوربا كما فعلوا في المدة الاخيرة

ومن المعلوم الذي ليس عليه من تكبر ان لبنان لم يخضع قط للدولة
العثمانية خضوعاً تاماً ولم تأخذ هذه الدولة بحرب عنوة بل تسليماً على
شرط ان يبقى على كيانه من حيث الادارة الداخلية التي لم تتعرض لها

الدولة من اول امرها مع ما كانت عليه من الصولة والافتقار ، اما نظام لبنان
الحالي فلم يكن نعمة حديثة لعشر اللبنانيين وانما كان رابطاً جديداً يربطه
بالدولة والدول الاوربية العظمى بحيث قد قضى على بعض امتيازاته
واستقلال ادارته السابق بالاطلاق فلو نزع هذا النظام لعاد لبنان الى حالته
السابقة له وربما كان ذلك افضل من الحالة الحاضرة التي لا ينكر ما فيها من
الخلل الظاهر والنقص المبين

فإذا لا خوف على اللبنانيين من ان تضيعهم الدولة اليها عنوة بانحاء
نظامهم الذي يقضي الفؤاد شرعاً بمودعهم الى حالتهم السابقة له او ان ترفض
طلبهم اذا رآوا ما يرغبهم في الانضمام الى رعاياها ونظاماتها الدستورية العامة
سواء طلبوا ذلك اليوم او غداً ، ومن ثم فلا شيء يدعو الى التسرع في هذا
الطلب مما يمكن من الامر



الكتاب ونظام لبنان

منذ نشر الدستور العثماني من مدفنه بعد ان نسجت عليه عناكب النسيان
مدة ثلاث وثلاثين سنة وكاد يلبه الزمان حاج في قلوب اللبنانيين عوامل التغيير
واخذوا يتساءلون ويتباحثون في ما يجب عليهم عمله تجاه الحركة التي قام بها
الحرار العثمانيين وقابوا في احداثها صفحة من تاريخ الدولة العثمانية مشحونة
بعبير الزمان وعظاته فانشأ كتابهم في كل صقع وجدوا فيه مقالات ضافية
الدول باحثين منفيين عما فيه الا فضل ولم يحجم فريق منهم عن استطلاع
آراء رجال السياسة في كل ناحية وعلماء القانون الدولي وكثير من حملة

الافلام في القطرين السوري والمصري حتى انكشف وجه الحقيقة بان من
الواجب على كل ذي امتياز ان يحتفظ بامتيازته الى ان يتزع منه فسرّاً ومع
ذلك فما زال في لبنان من يرومون اشراكنا بمجلس النواب العثماني اما عن
اعتقاد منهم ان ما نشر حتى الآن من الآراء المخالفة لهذا الاشتراك انما
هو مخالف لمصلحة اللبنانيين واما عن تشبث اعمى هو نتيجة جهلهم
بالشؤون العمومية واما عن تعلق بمبدأ من حيث هو مبدأ يزيد من الناس
لا من حيث هو مبدأ صحيح يجب تأييده . ومما يكن من سياسة اولئك
الافراد الفلاّث وخطتهم العوجاء خفي ان ثقل اليهم على سبيل الذكرى
خلاصة ما دار من الاحاديث بين بعض عقلاء اللبنانيين ونخبة من
كبار رجالهم وكتابهم وبعض زعماء الاحرار العثمانيين ومعتمدي الدول
الاوروبية وكبار سياستهم المحنكين سواء كان في مصر وسوريا او في
اوروبا نفسها



رأي نخبة من الاحرار الانراك في نظام لبنان

جرى لبعضهم حديث مع احد زعماء الاحرار في بيروت الذي اشار
اليه بالبنان فآله رأيه في موقف لبنان تجاه الدستور العثماني فقال له ذلك
الزعيم الحر ما يؤخذ منه ان لبنان اكثر بلاد الله حظاً وتمتعاً بالراحة والهناء
وان الشعب الذي تمتع براحة ليس بعدها زيادة لمستزيد مدة نصف قرن
يجب عليه ان يتروى كثيراً قبل ان يقدم على تمزيق نظامه فلا تأخذ
الحاسة والمجلة فانه يخشى كثيراً ان تكون غافتهما وخيمة عليه خصوصاً

وهو من الشعوب التي تنزع الى الدعة والسكينة وتنفاد الرؤوس والزعماء بسهولة ومن الحق ان يذهب الهوس بزعمهم من الزعماء الى ان يستغنى بامتيازات منحت لهذا الشعب فيقع في شر عمله ومعظم الضرر الذي يلحق بهذا الشعب على يده انما يكون بمثابة رد فعل للضرر البالغ الذي يلحق به أولاً . اما نحن العثمانيون فلم يكن من شيء يحجب الينا الاختفاظ بحالتنا الحاضرة لان الفساد كان قد عم جسم الدولة وسوس الاستبداد قرض قلبها فعمدنا الى الدستور ونحن غير واثقين بالنجاح فنجحنا بعون الله فكان انتقالنا هذا يمد في عرف المتمدنين والعالم اجمع انتقالاً فعلياً من عالم الفناء الى عالم البقاء ومن البائر الفاسد الى الباقي الصحيح او من الفبيح الى الحسن اما اتم اللبنانيين فاذا عمدتم الى تمزيق نظامكم فتكونون قد سعيتم الى حتفكم بظلفكم لانكم تكونون صائرين من احسن الى حسن وربما كان مصيركم من ردي الى اردأ واسوأ وهذا جنون محض ولا اخالكم ترتضون ان تلتصق بكم وصمة الجنون

وقد حدث لبناني هنا حراً عثمانياً آخر بعد في طليعة الاحرار العثمانيين الذين قضوا في وادي النيل ردحا طويلاً من الدهر فقال له ما معناه بعد حديث طويل جرى بينها عن الدستور العثماني : اما اتم اللبنانيين فلسم بمفتقرين الى دستورنا افتقار اهل الولايات اليه ولو خبرت حتى بعد اعلان الدستور في السلطنة العثمانية بين ان اكون لبنانياً او غير لبناني لا اثر ان اكون لبنانياً بكل معنى الكلمة اي متمتعاً بالحقوق والامتيازات الممنوحة لسكان جبلكم بموجب نظامه الممتاز في الداخل وبجميع الحقوق التي

تتمتعون بها في الخارج بصفتم عثمانيين وهي ميزة كما تعلم لم تحصل عليها
أمة من أمة الأرض



الأتراك يحسدون لبنان على نظامه

وكتب حر آخر في حاضرة السلطنة بعد من الطبقة العليا بين علماء
الأتراك وكتابهم إلى صديق له في مصر بعد مقدمة طويلة عن صلة العرب
بالأتراك وما يتوقع من تحاك مصالحهم بعضها مع بعض في مستقبل قريب
يقول على اللبنانيين ما مؤداه :

أما اللبنانيون فلا هم عثمانيون بكل معنى الكلمة ولا هم لبنانيون تماماً
يعرفون أن يحرسوا على امتيازهم ويحافظوا على استقلالهم ووحدتهم مع
أنهم على ما يروي الراؤون من أكثر شعوب الأرض توقفاً وأشدهم ذكاءً
وقد نبغ منهم أفراد يعدون في مصاف العلماء الأعلام والساسة المحنكين والناس
هنا يتتبعون حركاتهم بكل اهتمام والراسخون في القانون الدولي عندنا يندهلون
كيف أنهم يحلون إلى تمزيق نظامهم ويعمل فريق منهم على الانضمام إلى الدولة
بسرعة كذا عظيمة ورجال السياسة من حولهم يحذرونهم من عاقبة هذا
العمل الذي يعد خرقاً في الرأي وتسرعاً ليس بعده تسرع وهم صم لا يسمعون
وهي من خطأ أعظم من أن يمزق هذا الشعب في ساعة نظاماً اشتغل فيه
مندوبو ست دول أوربية مدة أشهر كاملة وهو غير آمن من مصير الأمور
ولا يدري ما يكون شأنه مع الدولة بعد طرح هذا النظام. كنا بالأمس
نحسد هذا الشعب الآمن على أمواله وأرواح بنيته ومصالح بلاده نحسده

على تحبطته وهنائه في ظل نظامه . فإذا به اليوم يحسدنا على دستورنا ويرغب في الاستقلال بظله وهو عمل ننظر اليه بعين السرور ونقابله بالارتياح نحن الأتراك ونشكره عليه شكراً جليلاً ولكني الآن لا أنظر الى هذا العمل بصفتي تركياً حراً بل أنظر اليه نظر بصير تأد يرقب الأمور بعين مجردة عن الغرض وينظر فيها الى الوجه الذي تستلزمه الرؤية ويتقضي به العدل فلا أرى هذا التسرع من اللبنانيين في طلب الاشتراك بمجلس المبعوثان محموداً سليم العاقبة والله ولي الرشاد .

واجتمع لبنانيان كبير من احرار العثمانيين في مصر فحادثهما عن لبنان وقال لهما في عرض كلامه عنه هذه العبارة : والله لو خيرت بين العثمانية او اللبنانية فقط بدون العثمانية لفضلت اللبنانية »

تصريح عظيم الشأن

وقد جرى لبعضهم حديث مع احد كبار ساسة الانكليز عن الشؤون العثمانية تخللته حاشية عن لبنان تعرب بنوع ما عن الرأي العام الانكليزي في موقف لبنان الحاضر . ويؤخذ من هذه الحاشية ان الدوائر الرسمية في لندن تعتقد ان الشعب اللبناني عن بكرة ابيه يطلب الدستور وليس فيه من يرفض هذا الطاب الا فئة صغيرة لا تتجاوز واحداً بالمائة من الاهالي وان هذه الفئة انما هي فئة الاحرار المتعلمين اي ان اعداء الوطن قلبوا الحقائق رأساً على ذنب واغروا جملة الدهاء في تزويقها واطلائها على رجال الحكومات الاوربية حتى داخل الشعوب المتمدنة ريب في امر اللبنانيين وباتوا يعتقدون كل الاعتقاد انهم يؤثرون الدستور على نظامهم ويريدون

ان يقوضوا اركان استقلالهم بأيديهم . اما المحدث فاماط له اللثام عن
الحقيقة بان بين له كيف ان فئة الاحرار الذين يكادون لا يتجاوزون الاصابع
المشرعة على هدم نظام لبنان قضاء لما ربهما وبأي ازدراء وتحمس
قابل الشعب اللبناني دعوتها اياه الى الجهاد في سبيل الدستور وكيف
انه ملأ الارض صياحاً محتجاً عليها ومستنكراً عملها وسعيها وجأ الى
الدول الاوربية لحماية نظامه وحفظ استقلاله . فاخذت الرجل الدهشة
وقال : عجبا ان ما اتصل بالدوائر الرسمية في لندن من اخبار الجبل مخالف لما
اسمعه الآن فما هذا السر ؟ ثم اردف هذه العبارة بما معناه ان الامتيازات
الممنوحة للبنانيين تفنيهم عن الدستور العثماني ومن الجنون ان يتنازلوا عنها
ان لم تلجئهم الى هذا التنازل قوة القاهرة . ويظهر ان رجائنا يجهل علاقة دولته
بضائفة من اللبنانيين او انه يتجاهلها ولو عرفها لوجد سر المسألة في هذه
العلاقة ولكنه لا يجهل من جهة اخرى علاقة لبنان بالدول الاوربية
الست الموقعة على نظامه ولذلك اشار بوجوب حرص اللبنانيين على نظامهم
المضمون من هذه الدول الست بمعاهدة رسمية دون خرقها خرط القناد
وما يجدر بالذكر في هذا المقام ان بعض المقامات الرسمية في اوربا
صرحت لمعظم برغبة الدول الاوربية في تأييد نظام لبنان اجابة لرغائب
اللبنانيين الذين طلبوا منها تأييده وهي لا تقتصر على ذلك بل انها مستعدة
ان تدخل بعض التمديل على مولده وتوسع اختصاص مجلس ادارة الجبل
وان الدولتين اللتين تدعمان الآن الدستور العثماني هما اشد الدول الاوربية
رغبة في تأييد نظام لبنان . وكفى بهذا التصريح دليلا على صواب الرأي

القائل بلزوم الاحتفاظ باستقلالنا ولو الى حين

رأي الساعيل كمال بك

وهناك تصريحات اخرى كان بودي ألا اغفل عن ذكرها لولم
تكن بعض الظروف تقضي بكم أن امرها حيناً من الزمن الى أن نخرج
من المضيق الذي وضعنا فيه أعداء الوطن وحسبي ان آتي هنا بشهادة
وردت في رسالة مدرجة في مقطع ٢ يناير الجاري المنسوبة لخصوصي في
الاستانة تؤيد ما اتفق عليه زعماء الاحرار الذين اتيت على ذكرهم من ان
الراحة السائدة في لبنان انما هي من نتائج النظام الموضوع له : اما هذه
الشهادة فقد نطق بها رجل من نخبة رجال الاصلاح في تركيا وهو اسمعيل
كمال بك والي بيروت السابق واحد مبعوثي مقدونيا في مجلس النواب
العثماني . قال : « وخذ هذا الجبل المسكين جبل لبنان فان اهله مستريحون
والامن فيه موطن اكثر من الولايات التي تحيط به وما ذلك الا لان
متصرفه مفوض مطلق اليد في تعيين رجاله فاهل لبنان واهل الولايات
من طبقة واحدة وما يصح تنفيذه في لبنان يصح في الولايات السورية
خصوصاً والعثمانية عموماً بلا جدال » ثم قال : « وانما افسد بذلك ان تطلق
يد الوالي في الامور الداخلية كالمدارس والصحة والبلديات وتعين لموظفين
فائدة الامور لا علم ولا دراية لنظارة الداخلية بها كدراية الوالي النبيه الذي
الذي يقف بنفسه على طرق الاصلاح »

رأي البرنس صباح الدين

وهو رأي البرنس صباح الدين نجل الدمامد في الاصلاح العثماني . فان

من رأي هذا المصالح الشاب ان توزع السلطة الادارية على الولايات كما هي الحال في لبنان وهو على صواب وحق خلافا لما يذهب فريق من الكتاب الى ان منح الاستقلال الاداري لاجزاء المملكة يؤدي شيئا فشيئا الى الاستقلال الكلي ولنا على فساد هذا الرأي شواهد كثيرة يضيق بنا المقام دون سردها هنا وحسب القارئ ان يعرف طرفة من سياسة اعظم الدول الدستورية كالمانيا والولايات المتحدة وانكثرا ليدرك صوابية رأي البرفس صباح الدين وهذه انكثرا قد رأيناها تمنح من قديم الزمان البلاد التي تضمها الى سلطتها الاستقلال الاداري الداخلي وهي مع ذلك مطمئنة على سلطتها فيها مطاعة مسموعة الكلمة وقد اتسعت املاكها بفضل هذه السياسة اتساعا هائلا لم يسبق له مثيل في تاريخ الاجيال الغابرة

هذا الشاهد وغيره مما لا يقع تحت حصر يؤيد ما تقدم عليه الكلام من ان الاستقلال الاداري الممنوح للبنان بموجب نظامه الخصوصي مما يجب الحرص عليه وبذل المجهود والارواح في سبيل تأييده ومواصلة السعي الى حمل الدول على ادخال بعض التعديلات عليه ليصبح منطبقا على مصالحنا موافقا لروح العصر الحاضر وافيا بحاجة البلاد من كل وجه ومعنى

اجتماع اللبنانيين في مصر

وقد عقد جماعة من اللبنانيين النازحين في مصر اجتماعا في احد فنادق العاصمة في اوائل يناير (١٩٠٩) سنة ١٩٠٩ لاجل المداولة في موقف لبنان الحاضر ازاء دولتنا الدستورية الجديدة وقرروا باجماع الآراء ان يسعوا الى المحافظة على نظام لبنان ضمن حدود معقولة بحيث يجمعون الى الحرص على

الامتيازات الممنوحة للجيل بموجب نظامه المخصوص الاخلاص التام للدولة
الدستورية الحرة التي انما كان اللبنانيون اول من طرب وابتهج للانقلاب
المعظم العجيب الذي احده فيها رجال احرارها العظام وكانوا في كل صقع
وجندوا فيه من بلاد الله الواسعة في مقدمة الذين اقاموا الحفلات العظيمة
ابتهاجاً للدستور واحترافاً برجاله واعوانه كما تشهد جميع صحف العالم العربي
والتركي وكما تشهد ايضاً زعماء الاحرار انفسهم وكبار رجال الدولة ومنهم
والي اليمن الجديد في تصريح له نقله اليينا احد مراسلي المقطم الاغرة في
بور سودان في ١٩ يناير سنة ١٩٠٩

وقد ورد على اللجنة اللبنانية يوم اجتماعها الاول في مصر من احد
كبار السوريين الذين يتنازون بسمو الادراك والنظر البعيد خطاب عن
موقف لبنان ازاء الدستور العثماني وقد ضمنه من البراهين العقلية والقانونية
في وجوب الاحتفاظ بنظام لبنان ما يسمح ان يتخذ حجة قاطعة على تأييد
ما تقدم من الكلام في هذا الموضوع وكان يودعي ان الشرع هنا لو آمنت
من صاحبه ميلاً الى ذلك



الخلاصة

والخلاصة ان امامنا الآن امرين لا وسط بينهما وهما اما ان نمرق
نظامنا ونقضي على استقلالنا وامتيازاتنا قضاء مبرماً ونضم الى اخواننا
العثمانيين انضماماً حقيقياً معنى ودمى حتى يكون لنا ما لهم وعلينا ما عليهم
وهذا ما لا يوافقنا عليه في الوقت الحاضر من كان في رأسه ذرة من العقل

واما ان نحرص على استقلالنا حرص البخيل على الديار ونؤيد نظامنا
بكل وسيلة ممكنة. ولا فناء لنا تراوح بين الموت والحياة تقدم رجلا وتؤخر
اخرى فهيئات ان تقوم لنا قائمة او نستقر على حال وقد عمر بنا جيل بكامله
قبل ان نحني ثمره شهية من حالتنا الحاضرة او نقضي منها وطراً يؤهلنا لان
نعد في مستقبل قريب في مصاف الامم الرافية فعلاً لا اسماً . لاسيما
ونحن في منعطف من التاريخ من اشد المنعطفات خطراً على حياتنا القومية
واقل هفوة نرتكبها فيه تسجل لنا القضيحة والعار وتؤخرنا سديناً طويلاً الى
الوراء . فالى الامام اذا الى الامام ايها اللبنانيون فاكم من عبر تاريخكم الماضي
ما يفسح لكم السبيل لانتهاج الخطة التي تبلغكم الى مستقبل زاهر حافل
بآيات يينات تواف سفرآ جميلاً من تاريخكم الجديد انشاء الله

صفحة من تاريخ لبنان

ليس بين تواريخ الأمم والساطير الاولين تاريخ مبهر مبهم ليس بين
حوادثه رابط ولا تسلسل كتاريخ لبنان فهو منقطع وفي كل قسم من تواريخ
الشرق ثغرة منه وطرفة من حوادثه حتى ان المؤرخين السوريين انفسهم وهم
اخير المؤرخين باحواله لم يتمكنوا من ضبط حوادثه وتنسيقها وسوقها
سوقاً يمكن معه ان يرسخ في ذهن المطالع شيء واضح من هذه الحوادث
يؤثر عن لبنان انه قبل الازمنة الاولى من التاريخ لم يكن مأهولاً
بالسكان كسائر جبال سوريا وبر الاناضول وكانت تغشاها غابات الارز في
شماله وبعض انواع اخرى من الاشجار ولا سيما العفص والسنديان في
اواسطه والصنوبر في جنوبه بدليل ما بقي من آثارها في تلك الجهات حتى
اليامنا هذه .

اول من عرفه من الشعوب التي نشأت في تلك الاصقاع او جآ منها من
الخارج اتاهم الفينيقيون جآوا سوريا من الخليج العجمي واستقروا في
سفحه على السواحل البحرية من طرابلس الى صور وصيدا وسميت تلك
البلقة فينبقيا نسبة اليهم . وكان لبنان في ذلك العهد غاصاً بالغابات فكانوا
يستخرجون منها ما يحتاجون اليه من الاخشاب الصلبة لصنع مراكهم التي
التموا منها اساطيل كبيرة كانت تحمل تجارتهم الى اطراف المعمور .
ولكنهم ترددهم اليه اضطر فريق منهم للاقامة في جهات كثيرة منه مسوقين
الى ذلك بحكم الحاجة كما هو الحال في سائر بلاد الله . فبدأوا اولاً بتشديد

منازلهم من جذوع الشجر ثم تطرفوا الى تكيفها حسب الحاجة عملاً
بناءً وس الرقي الطبيعي وتفرقوا جماعات فبنت كل جماعة منهم زراعة واخذت
هذه المزارع تنبع وتدمو كلما تكاثرت نسلهم ومست الحاجة الى تشييد المنازل
فيها . ولكنهم لم يتركوا في الجهات التي اقاموا فيها آثاراً تذكر لان اقامتهم
هناك كانت الى وقت ما فلم يتخذوها موطناً لهم وظلت علاقاتهم بسكان
السواحل متواصلة عدا عن انهم كانوا من الطبقة السفلى من الشعب ولم
يكن ينتظر ان يقوموا باعمال عظيمة تبقى آثارها الى عهد بعيد . اما في
السواحل البحرية فقد تركوا آثاراً عظيمة وفي جبيل وصرها لآن شي كثير
من هذه الآثار وفي بيروت ايضاً شي منها . وقد ملكوها دهرًا طويلاً
وكانت تعرف لهم باسم بيريتيس . وظلت مدينة جبيل قاعدة لملكهم
ردحاً طويلاً من الدهر ثم وجهوا عنايتهم الى صور وسيد الجمالوها مركزاً
لتجارته وحكومتهم وحصنوها تحصيناً منيعاً .

اما قبل الفينيقيين فلم يرو لنا المؤرخون ان شعباً من الشعوب
الشرقية دخل لبنان واستوطنته وجل ما جاء في التاريخ ان الكنعانيين
كانوا يقيمون في الجهة الشمالية من سوريا واما سهول الشام ووادي اورنت
وسهول حلب فكان يسكنها الآراميون واما بقية الديار السورية فكان
يسكنها الحثيون الذين كان لهم شأن عظيم في تاريخ سوريا القديم
وقد كانت سوريا منذ القدم موضع منازعات الامم اشرقية ومرسحاً
فسيحاً تلعب فيه ادوارها وتمثل عليه رواياتها الدموية ومطمحاً لمطامع الدول
الغابرة ومحطاً لرحال الشعوب . فقد ظلت دهرًا طويلاً بين مدي وجزر من

تنازع الشعوب عليها تتجاذبها الامم الفاتحة وتتطاحن من اجلها كالبابليين والاشوريين والحثيين والمصريين والفرس والرومان واليونان والمملكة الشرقية البيزنطية التي جمعت القسطنطينية (الاستانة) قاعدة للملكها الى الفتوح الاسلامي ثم اخذها الاتراك السلجوقيون فالصليبيون فالنقرا والمغول الذين تولوها بعد العباسيين سنة ١٢٥٩ م.

وبين سنة ٨٦٠ - ٨٨٥ قبل المسيح اخذها الاشوريون لعهد الملك تكلا فالصر الاول فقسموها الى ممالك صغيرة واقاموا على كل مملكة منها ملكا . ثم تنازعتها امم اخرى من بعد مدة خمسة اجيال الى ان فتحها الاسكندر المقدوني (ذو القرنين) سنة ٣٣٢ قبل المسيح ولما اقسام فواد الاسكندر الاربعة الممالك التي افتتحها دخلت سوريا في قسم احدهم سلوخي فتولاهما سنة ٢٨٤ ق . م . ثم تعاقب عليها ملوك السلوحيين والبطالسة حتى سنة ١٤٤ ق . م . حيث دخلت في حوزة الرومانيين لعهد يومية . ثم استولى عليها ملوك القسطنطينية وبقيت في حيازتهم سنيًا طويلا حتى ايام هرقل الملك والفتح الاسلامي فملكها دولة الامويين فالعباسيين اجيالا طويلة الى ان ضعفت شوكة العباسيين فاستولت عليها دولة النقرا والمغول ثم ظهرت دولة الاتراك السلجوقيين (١) وغزت بلاد

(١) استولت دولة النقرا على سوريا سنة ١٢٥٩ بعد ان تقاضى حكم الدولة العباسية عنها وقد جاءوا من الشرق الاقصى ولم تطل مدة حكمهم عليها

(٢) وفي منتصف الجليل الثالث عشر كانت دولة النقرا والمغول لم تفرض تماما بعد وكانت قد استولت على قسم من المملكة الشرقية (مملكة الروم) فظهرت اذ ذاك

الشام وبيت المقدس وغربت مدائنها وضربت الذل والمسكنة على اهلها
وكثرت مظالمها على المسيحيين خاصة فاستنجدوا البابا والدول الاوربية
فهبت الشعوب الافرنجية لنجدتهم واستولت على بلاد الشام بعد حروب
كثيرة ومواقع هائلة يضيق المقام دون حصرها هنا وهي مشهورة بالحروب
الصليبية وكان ذلك سنة ١١٠٨ . وظل الصليبيون هناك زمنا طويلا .
وبعد موت نور الدين الزنكيدي او الزنكي ملك دمشق سنة ١١٧٣
افتتح السلطان صلاح الدين الايوبي الديار السورية سنة ١١٧٤ فطرد
خلفاء نور الدين من الجبهتين الجنوبية والغربية منها واستنصر على الصليبيين
في انطاكية وحرابلس وما يليها حتى الفرات وطردهم من تلك الجهات وذلك
بعد ان اسس الدولة الايوبية في مصر^(١) وقد تم له كل ذلك من سنة ١١٧٤

دولة الانراك السلجوقيين واستولت على اقسام الاكبر من هذه الممالك وابتدأت
ولايتها في مصر ثم عمت بلاد الشام وكان التتريغريون على الديار الشامية حينئذ
ولكنهم لم يلبثوا ان انقرضوا . ومؤسس هذه الدولة عثمان ابن سلجوق (وهو غير
عثمان ابن ارطغرل مؤسس الدولة العثمانية) ويتصل نسبه بالشعوب التي كانت تقسم
في جبال القوقاز . وقد تغلب على اعمال آسيا وبلاد المعجم . وقد ترك جماعته
عبادة الاوثان واعتنقوا الاسلام وكانوا ينقسمون الى سبع طوائف

(١) واستمرت الدولة الايوبية في مصر حتى سنة ١٢٥٠ فانقرضت اذ ذلك
من مصر بقتل الملك العظيم تور شاه لابن الملك الصالح ايوب ونودي بامه شجرة
الدر سلطنة على الديار المصرية وبعد ثلاثة اشهر من حكمها وجدت مقتولة وجثتها
ملقاة خارج القلعة وفي ايامها اخلي سبيل الملك لويس ملك فرنسا من الاسر في دمايط
وسار الى عكا . اما انقراض هذه الدولة من بلاد الشام فكان في سنة ١٢٥٢ حيث

الى سنة ١١٨٧ . وفي ايامه استتب الامر في جبل لبنان وامن بلاد
كسروان^(١) بعد ان اضطربت دار الحروب والفتن فيها سبع سنين على اثر

استولى النمر (المفلح) على البلاد واستظهر ملكهم هولاءكو (وكان نصرانياً) على
صلاح الدين يوسف الايوبي الملقب بالناصر (وهو غير السلطان صلاح الدين الذي
انشأ الدولة الايوبية) وقتله وهو عاشر ملوك الايوبيين وآخرهم . وهكذا انقرضوا
من مصر والشام بعد ان ملكوا فيها ٣٢ سنة

(١) وفي سنة ٣٨٨ هـ اغار اهل كسروان على بلاد الغرب (بلاد آل تنوخ)
على امر مساعدة الكسروانيين لخطاش والتنوخيين للملك الظاهر برفوق فاستظهر
الكسروانيون على آل تنوخ ودخلوا بيروت فمهبوا بيوتهم ثم زحفوا على بلاد
الغرب (أي البلاد التي كانت واقعة تحت ولاية آل تنوخ وتشمل الغرب الاعلى
والغرب الاسفل من قضاء المتن) وحرقوا قرى كثيرة منها فالتجأ آل تنوخ الى قرية
الدوير وبنى اهل الشوف لنجدتهم فارتد الكسروانيون عنهم وعادوا الى بلادهم

وكان امراء المردة يقيمون في كسروان وكانت تعرف لعبيد بلاد المردة
نسبة اليهم ولم يطلق عليها اسم كسروان الا منذ سنة ١١٣٠ هـ بعد الامير كسرى
وهو احد احفاد الامير الذي قتل في قب الياس في ايام الملك ابن مروان صاحب
دمشق . وكان الامير كسرى ذا سطوة وبأس فسار الى القسطنطينية ودخل على
ملك الروم فاكرمه واثبت عليه امارة كسروان وسماه كسرى فسميت تلك البلاد اليه

وفي سنة ١٣٠١ هـ راح نائب دمشق جمال الدين الاقزم بجيش عظيم على
كسروان فاجتمع مقدمو الجبال في جيبيل وهجموا برجالهم على عساكر الشام
وطرابلس وكسروهم وغنموا ما لهم وخيلهم ثم جاء الاكراد من الازواق لنجدة
عساكر السلطان ووقعوا في كمين نصبه لهم اهل كسروان وهلكوا عن آخرهم وكان
مع عساكر جمال الدين امراء التنوخيين اقبل منهم اميران ثم غزا الكسروانيون
بلادهم (غرب بيروت) واحرقوا منها صوفر وشمايخ وعين زونية الممر وقتل الان

ظهور بدعة فيها^(١) ويذكر المؤرخون أن جبال النصيرية وجبال سوريا

بقرية العزونية وبخطوش وما جاور هذه القرى من بلاد الغرب ثم ساروا إلى معاد
وهناك انقسموا الغنائم . ومن المتقدمين الذين شهدوا هذه الواقعة المنجم خالد صاحب
شمش والمنجم سنان صاحب اليلج والمقدمان سر كيس وسعادة صاحب الحفد
وعثر مقدم القنطرة وبعض مقدمين آخرين

وفي سنة ١٣٠٥ زحف اقوش الاقزم حاكم دمشق بخمسين ألف فارس وراجل
إلى جبال الجرد وبلاد كسروان فاجتمع الأمراء والمقدمون بعشرة آلاف مقاتل
فاستظهر عليهم لكثرة عدد رجاله وتوغل في البلاد ونهب قرأها وقتل بسكانها

(١) والسبب في هذه الفتنة انه في سنة ١١٤٤ قام رجلان في بلاد جبيل وانشأ
بدعة فيها فذهبا إلى أن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة (وهي تشبه بدعة اليعاقبة
والنساطرة) فهاج ذلك الرأي العام وحدثت فتنة في البلاد ولما بلغ ذلك الملك الظاهر
برقوق هاجم بلاد كسروان سنة ١١٤٩ بجيش عظيم وحاربها سبع سنين واحترقت
عساكره القرى وقطعت الأشجار ونهبت المنازل ولم يبق في البلاد مكان عامر إلا
حصن معراب فإن العساكر لم تقو على هدمه من أساسه وبات كسروان برية
مقفرة من جروده حتى سواحله وما يليه من بلاد جبيل ومدينة البترون ما عدا
جبلات نهر ابراهيم فقامت غلات أهلة بعض السكان . وهرب نصارى جبيل وكسروان
إلى جبل الشوف واقاموا فيه ومنذ ذلك الحين ظهر فيه الموارنة ولم يكن فيه عائلة
مارونية واحدة قبل ذلك العهد . قال المؤرخ : وبقي الحال كذلك إلى أن استولى
صلاح الدين الأيوبي على سوريا وأمن سكانها على أرواحهم وأرزاقهم

وفي سنة ١٢٨٧ انجد نصارى كسروان الأفرنج في حصار طرابلس وكانوا
لهم اليد الطولى في افتتاح أولئك الأفرنج لها ولما اتصل خبرهم بحسام الدين لاجين
الملقب بقراسنقر (وهو حاكم دمشق الذي صار فيما بعد ملكا على مصر وسعي
الملك المنصور وقتله المماليك) زحف بهساكره على كسروان فمقبة أهله .

واخصها لبنان حفظت استقلالها في كل تلك الازمنة . وكانت الدول التي
تستولي على سوريا تعجز عن اخضاع جبل لبنان اخضاعاً تاماً لوعودة
مسالكه ولان الفوائد التي كان يرجى ان تجنيها من افتتاحه لا توازي
الخسائر الفادحة التي تنكبدها في هذا السبيل . ولهذا كانت تكتفي
ببسط حمايتها على امراءه وفرض جزية عليهم والاستعانة بهم على اخضاع
العدو^(١) كما كان الحال لعهد الامير نجر الدين المعني^(٢) وخلفائه وامراء

واستنجد عليهم الامير جمال الدين التوخي حاكم بلاد الغرب (الجبة الواقعة غربي
بيروت من لبنان) ومن جاوره من الامراء التوحيين وكذب لهم ان من سبي منهم
امرأة كانت له جارية او صبياً كان له مملوكاً ومن احضر منهم رأس رجل فله دينار .
(تأمل) ولكنه لم يظفر منهم بطائل . فحردوا عليه ٣٠ الف رجل وكسروه كسرة
عظيمة ولم يبق من رجاله احد وثقموه رؤوس القتلى حتى جعلوا منها كدسة عظيمة
ومن ذلك الحين سميت تلك الارض الشقمة وقبورهم باقية للآن . ثم عاد بعد حين
لحاربهم بمساكر الشام وعساكر طرابلس

(١) كان من عادة امراء لبنان من قديم الزمان ان يواضعوا رجال الدول التي
تبسط حمايتها على بلادهم باهدايا ويسلمونهم قارة بالمال واخرى بالمون والدخائر
والاقشة وفي عهد الدولة العثمانية كان المصدر الاعظم وحكام الشام وطرابلس النصيب
الاوفر من هدايا اولئك الامراء حتى انه لم يكن يستتب الامر لاحد منهم بدون
ذلك وبقدر ما كانوا يجودون بالمال على اولئك الحكام بقدر ذلك كانت تنسج
مناطق ولاياتهم وتفسح دائرة نفوذهم وسطوتهم ولذلك كانوا يتنافسون في العطاء
وبسط الاكف سعياً وراء ذلك . وقد امتاز آل معين في عطاياهم المتواليه وتقادهم
الغبية على سائر العشائر التي ملكت جبل لبنان ولذلك اتسعت ولايتهم حتى امتدت
من حدود صور وصيدا الى حدود حلب . وروى من هذا القبيل انه حدث ان

نصوحى باشا وزير السلطان احمد حنق على الامير فخر الدين لانفاقه مع حاكم دمشق على محاربه وهم في حلب ولمساعدته علي باشا جنبلط الذي كان خرج عن طاعة السلطان (وقد قتل علي باشا في حلب وفك الوزير بيانيين الف من قبيلة التفجكية التي كان ينسب اليها) . فارسل له الامير ثلاثمائة الف قرش مع ابنه وعمره وقتل تسع سنين فعني عنه وأنعم على والده بسجنية صيدا وبيروت وغزير . ثم عاد ففقر منه فارسل له ٢٥ الفاً وأردفيا بخمسين اخرى للسلطان و ٢٥ للوزير و ٥ آلاف لرسول الوزير فصفا خاطره وتركه حيناً . ثم عاد فتغير خاطر الوزير عليه فارسل له مقدمة مالية ومراكب مشحونة صابوناً وقماشاً الى ان رضي عنه وهكذا كان شأنه وشأن كل امير من امراء الجبل مع حكام الدولة ووزرائها ورجال حكومتها ومن نكد الطالع ان هذه العادة لم تنزل متصلة في ايمان هذه مع انها كانت وما زالت للآن العامل الاكبر على تدخل رجال الدولة في شؤون الجبل وافشاء الاحزاب والخصومات بين أهاليه ما هو معلوم عند جميع من تتبعوا الحوادث التي جرت في لبنان منذ القدم حتى اليوم

(٢) امراء آل معن من قبيلة بني ربيعة (من العرب الايوبية) الذين كانوا يقيمون في بلاد نجد وديار ربيعة فظهر منهم رجل يدعى ايوب وكان فارساً شجاعاً فقام عليه سادة ربيعة واخرجوه حسداً من بينهم فرحل الى الجزيرة الفراتية (نسبة الى نهر الفرات) وتكاثر نسله هناك وكانت عشائره تعرف بعرب الايوبية نسبة اليه . ثم رحل امير منهم من الجزيرة الى جبال حلب ومات هناك بعد ان ترك ولداً سمى معناً . وبعد مدة من الزمن قدم الافرنج الى تلك الجبال واستولوا على انطاكية فافند الامير معن يغزوهم بعرب الايوبية حتى عظم امره

وفي سنة ١١١٧ غزا الامير معن الافرنج وتغاب عليهم ثم حارب بلديون (من ملوك الصليبيين) بمعاونة جماعة من اتباع غازي امير الترك ولكن بلديون كسره فكثره جيوشه فرحل الامير معن بالعرب الايوبية الى ديار الشام ونزل في سهل البقاع . ثم ذهب الى دمشق ودخل على صاحبها وهو وقتئذ طفتكين فخلع عليه وجعله

من انتصاره وامره ان يقوم بعشيرته من البقاع الى الجبال العالية من لبنان المشرقة
على ساحل البحر ويتحصن فيها ويطلق الغازة منها على الافرنج النازلين في السواحل
فرحل الامير في سنة ١١١٨ الى جبل الشوف وكان خالياً من السكان فلستمه
بمعاونة آل تنوخ امراء غرب جبل لبنان (وبراد بالغرب هنا الجهة الواقعة غربي
بيروت من لبنان) وكان اميرهم بمحتر جد الامير زهر الدين التنوخي فاختذه الامير
معن حليفاً له وعظداً على الافرنج فارسل له الامير زهر الدين عمالاً من عنده فبنوا
له وغاصته منازل جدارية متينة فسكنها واعتزل المضارب والطيام واخذ يحث
اصحابه وقومه على البناء وتشيد المنازل حتى كثر البناء في الشوف وشاع ذلك في
البلاد فقصده الناس من كل جهة استولى عليها الافرنج من حوران وديار الشام وحلب
ومن جوار لبنان واحرافه وصار جبل الشوف حافلاً بالسكان وظل الامير معن
حاكماً عليه زهاء ثلاثين سنة وهو اصل امراء آل معن واليه يتسبون ومن ذلك الوقت
صار الجبل ينسب اليهم فيقال جبل بنت معن اي جبل لبنان وما دركته الشبة في سنة
١١٤٩ م . وقد كانت اقامته في قرية بعلين . ثم انتقل خلفاؤه الى دير القمر
وجعلوها قاعدة لولايتهم . وخلف الامير معن ابنه الامير يونس على ولاية جبل
الشوف سنة ١١٥٠ . وتعاقب امراء آل معن من بعده على حكم الشوف حتى
امتدت سلطتهم كثيراً وامت جبل لبنان وما جاوره من البلاد حتى انها بلغت من
صور وصيدا الى حدود حلب . واشهر امراء آل معن الامير فخر الدين الاول .
ومنهم الامير فخر الدين الثاني الذي بلغ من السطوة والنفوذ شأواً بعيداً وقد اشهر
امره بعد ان سافر الى ايطاليا واقام فيها مدة كان فيها موضع الاكرام والاعجاب
عند امراءها وملوك اسبانيا .

ذهب الامير اولاً الى مقاطعة توسكانا وكانت في ذلك العهد تحت ولاية ملوك
فرانسا فبالغ حاكمها ودوقها ورجال الدولة في اكرامه وعين له الدوق راتباً واقام في
خدمته حاشية كبيرة وارزله في اجل قصور ليفورتوه ثم ذهب الى مينا ومنها الى اسبانيا
فرحب به سلطانها واقام في ضيافته مدة سنة ثم عاد الى توسكانا ورحل منها الى

آل تنوخ^(١) وامراء الشهابيين^(٢) وامراء آل سيف و عساف وغيرهم من

سوريا لمشاهدة آله ثم رجع الى نوسكاف وبعد مدة عاد بعياله الى لبنان بعد ان اقام في بلاد الافرنج خمسة اعوام وبقي حاكماً عليه الى ان ادركنه منيته . وقد حارب الافرنج وانتصر عليهم في مواقع كثيرة وحارب حكام الشام وطرابلس وحلب وكان عدواً لآل سيف حكام غزير ثم وقع الاتفاق بينه وبينهم في آخر سني حكمه بنزوح ابنه علي من ابنة يوسف باشا سيف . ومما يذكر من هذا القبيل انه لما احتاج آل سيف بلاد الشوف ونهبوا آل معن وحرقوها قسم الامير فخر الدين هكذا : « وحرق زمزم والنبي المختار لا عمر ك يا دير بحجر عكار » (ويريد بالدير دير القمر) وهكذا لما ظفر بهم في عكار واستولى على قلعة الحصن وعدها ونقل حجارها على الوف من الجبال الى دير القمر حيث وزعها على جميع بيوتها ولا سيما دور آل معن وهي حجارة صفراء لم تزل باقية للآن في بنايات آل معن القديمة . ومنذ سنة ١٦٩٠ اخذت سلطة آل معن تضاف من البلاد . وفي سنة ١٦٩٧ تقاضى ظل ولايتهم عن جبل لبنان بموت الامير احمد المعني وبعد موته لم تلبث سلالته ان انقرضت لانه لم يرزق ذكوراً . وقد كان لآل معن منزلة رفيعة عند سلاطين آل عثمان وكانوا يخاطبون حكامهم كما يخاطبون توزراء ورجال الدولة العظام وقيل انهم اعظم من حكموا سوريا من النولا والنوب وقد اشتهروا بالشجاعة والاقدام وعظم امرهم في حروبهم مع النصليبيين وحكام الديار السورية من المسلمين

(١) آل تنوخ جاؤا الى لبنان من معرة النعمان وهم ينتسبون الى الملك النعمان ابن المنذر ملك الحيرة الملقب بابن ماء السماء . ويذكر المؤرخون انه لما قتل برميذ ابن كسرى النعمان الاكبر رحل ابنه النعمان الاصغر ببعض قبائل العرب ونزل في الجبلية الغربية من سفح جبل لبنان على مقربة من بيروت وكانت تلك الجبلية اذ ذاك قفراً قستقرت تلك القبائل فيها واستوطنتها مدة من الزمن . وكان بنو النعمان يحكمون فيهم اميراً وثبتت الامارة لبنيهم من بعده . واول من اسس عشيرتهم ابو

امراء جبل لبنان الذين حكموا في الجبل الرابع عشر وما بعده حتى الامير

عبد الله محمد فولد ابراهيم وابراهيم ولد الحسين والحسين ولد عليا وعلي ولد بخترا
وبخترا ولد زهير الدولة الذي كان معاصراً للملك نور الدين الزنكي صاحب دمشق
(سنة ١١٧٥) وكان الملك يحبه ولما مات ترك ثلاثة اولاد قتلهم حاكم بيروت
(وهو من الصليبيين) غدرًا وهدم الحصن الذي كانوا يقيمون فيه في قرية سرحول
(قرية بالقرب من الشويفات) وكان فيه جعي الملقب بجبال الدين ووالدته هربت
به الى النوير (قرية مقابل مجد النعوش) فهدم الافرنج ذلك الحصن وحرقوا
القرى المجاورة له . وفي سنة ١١٨٧ سار الامير جعي مع الملك الناصر لفتح
بيروت ولما دخلها الملك بعساكره لمس رأس الامير وقال له : ها اننا اخذنا يثارك
من الافرنج فطلب نفسه . ثم ولّاه على بيروت وما جاورها من الجبل الواقع شرقها
من اعمال النوير فتولى الحكم عليها حتى سنة ١٢٠٢ وكان مدة ولايته ملازمًا للجهاد
ضد الافرنج . وكان يتولاهما قبل ان دخلها الافرنج الضحاك بن جندل بن قيس من
البحر وقد ولّاه عليها الملوك النساطريون . وقد امتدت ولاية الامير زهير حتى وادي
النهر فكان يحكم الجهة الجنوبية والشرقية من لبنان . ثم تعاقب امراء آل تنوخ على
تلك البلاد حتى سنة ١٣٠٩ حيث ابتدأت سلطتهم ان تضعف على الرقيام لاميير
علي حفيد الامير علم الدين معن الرطوفي (صهر الامير ناصر الدين التتوخي) عليهم
وقته الاولاد في عبيد لان عائلته كانت قد خرجت من حزب التنوخيين القيسيين
وانضمت الى حزب الحميين . وقبل انه ما زال في عبيد للان عائلة تسمى بيت امين
الدين يتصل نسبها بآل تنوخ وهي من بقايا بيت القاضي الذي بنى احد المتسبيين
اليه جسر القاضي ويقال ان امراء بيت ارسلان متفرعون من التنوخيين . وقد كان
لآل تنوخ شأن عظيم في جبل لبنان ونفع منهم امراء كثيرون . وكان لهم منزلة
سامية عند الملوك والسلاطين ومنهم علي باشا التتوخي الذي كان آغا الاكشارية
في الاسكندرية .

(٢) امراء آل شهاب قبيلة يذهب بعض المؤرخين الى ان نسبها يتصل ببني قريش . واول من ظهر واشتهر امره منهم الامير منفذ . وكانت تقيم اولاً في حوران ولما عزم السلطان صلاح الدين الايوبي على فتح الديار الشاميه كان اول من عرف بذلك الامير منفذ فجمع عشيرته وقال لها انه لا بد ان ياتي صلاح الدين من مصر الى دمشق لمحاربة نور الدين سلطان الديار الخليفة والشاميه فاذا ما اتى حوران والامراء الشهابيون فيها يفضض عليهم وهم من اتباعه ومحبيه ولهم عنده منزلة رفيعة فلا يروق له ان يراهم خاضعين لنور الدين . فاستصوب الجميع رأيه ورحلوا معه بعشائرهم الى غربي الديار الشاميه ونزلوا على مقربة من الجسر البعقوبي وكان ذلك في سنة ١١٧٢ . وفي السنة التالية رحلوا الى وادي التيم (على طريق الشام) وكانت اذ ذلك بيد الافرنج وقد كانوا اخذوها من الامير زهير الدين التوخي . فجمعوا مفرحم في حاصبيا وحصنها بالآلات الحربية واقاموا فيها المعافل والخصون ولما عرف الافرنج بقدومهم خرجوا لمقاتلتهم وجرت عدة مواقع بين الفريقين انحلت من اندحار الافرنج واعتصامهم بالجبال العالية . وعرف بذلك الملك نور الدين فخلع على الامير منفذ . ثم اتصل خبير انصار الشهابيين بالامير يوسف المعني حاكم الشوف فسر كثيراً واخذ يتودد اليهم وزوج ابنته من ابن الامير منفذ . ومنذ ذلك الحين كثر التزاوج بين الاسرتين واستحكمت خلات المودة بينهما واخذ حكمهم يستجدون بعضهم بعضاً في الحروب والغزوات وكثيراً ما تنفقوا على محاربة حكم الشام وطرابلس وعساكر الافرنج في جهات متفرقة من سوريا . والاسرتين مواقع شهيرة مع آل سيف في عكا واوراميت الحرفوش في البقاع وغيرهم من الامراء والحكام . وقد اشتهر من الامراء الشهابيين الامير بشير الكبير ابن الامير قاسم الذي تولى الحكم على جبل لبنان بعد الامير يوسف من سنة ١٧٩٥ الى سنة ١٨٤٠ حيث اقبل من الولاية وقضى آخر سني حياته في جزيرة مانطة وكان شجاعاً مهاباً لا يحسر احد ان يحدد نظره فيه وقد امتدت سلطته الى اطراف البلاد وكان بينه وبين محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية مودة وقد اخذ ابنه ابراهيم باشا في حصار عكا وغيرها

بشير الشهابي الكبير كما سيحيي^(١)

من المدن . وهو الذي بنى سراي بيت الدين المشهورة . وكان آل شهاب يقيمون في حاصبيا ثم انتقلوا الى دير القمر

ومما يجدر بالذكر في هذا المقام انه في سنة ١٢٨٤ غزا النمر وادي النيم وحاصروا فيها الامير سعد شهاب حصاراً شديداً فدام حتى يأس من القصر ثم هرب بن بقي من عشيرته وتباعه الى سهل البقاع ونيمه النمر حتى نهر الليطاني فاعتصم بالجبال وهو مشغول بالجراح وقد اخوته وابناء اعمامه في القتال وحرق النمر وادي النيم وهدموا دور آل شهاب من اسلمها ثم سار الامير سعد الى جبل الشوف فاعتصم بالامير بشير المعني ثم عاد الى وادي النيم فوجدوها خراباً وقد نزع السكان عنها ولم يعد منهم اليها الا النزر القليل بعد ان ظلت مقفرة خمس سنين . وبعد زمن يسير مات الامير سعد بالوباء

(١) امرآل سيف وآل عساف ينسبون الى قبائل كردية كان سلاطين الشام اسكنوها في سواحل لبنان من صيدا وبيروت حتى طرابلس واقاموها حلوة عليه لغزوهم عن البلاد غزوات المراك (الافرنج) وكان احدهم المدعو عساف يقم ولا في الزوق ثم رحل الى غزير وشيد فيها قصراً والى جانبه جامعاً يزل نوره وقياً حتى الآن . وقد حكم كسروان مدة من الزمن وكانت ولايته تشمل البلاد الواقعة بين نهر الموت (في جديدة بيروت) ونهر البارد ثم خلفه في الحكم ابنه الامير محمد الذي مات بدون عقب . وقد حكم آل عساف على غزير من سنة ١٣٠٦ الى سنة ١٥٩٠ . اما ولاية آل سيف فابتدأت منذ سنة ١٥٩٣ وذلك ان الشيخ ابو منصور حبيش ذهب الى بلاد عكا وعاد منها بالامير محمد سيف وازوجه بالاميرة الامير محمد عساف فانتقل الحكم بهذا الزواج من آل عساف الى آل سيف وخلف الامير محمد سيف ابنه حسن الذي قتل في موقعة جرت له مع الامير فخر الدين المعني (فخر الدين الثاني) وبعد ان تصبر فخر الدين على مجاعة سار الى غزير فحرقها وضبط

وفي أيام الصليبيين كان حكام جبل لبنان يعرفون بأمراء المردة وكانوا من الأشداء تضرب بشجاعتهم الأمثال . ولما استولى الصليبيون على النطاكية وساروا إلى بيت المقدس في ربيع سنة ١٠٩٩ وافاهم أولئك الأمراء

أملاك آل سيفا وكان ذلك سنة ١٧١١ . ثم وقع الاتفاق بين آل سيفا وآل معن بن زويج ابنة الأمير فخر الدين من ابنة يوسف باشا سيفا وقد نبغ من هذه الأسرة يوسف باشا الأنف الذكر وهو أول من تولى الحكم على طرابلس وما جاورها من البلاد وكان مقدمه جبة بشرى يتولون البلاد بأمرة وقد حارب عساكر الدولة مراراً وخرج عن طاعة السلطان وعاد إلى بلاد عكا حيث بنى الدور والقصور وشيد فيها حصناً منيعاً . وجرى له مواقع كبيرة مع آل معن وآل شهاب ونولى طرابلس مرات عديدة . وبعد موته أتت بلاد كسروان بولاية جبل الشوف وكان أمراء الشوف يولون عليها حكماً من مشايخ بيت النظازن وبيت حبيش (حكام غزير) وبيت الدحداح وغيرهم

وفي لبنان كثير من العشائر والعائلات التي حكمت بعض مقاطعاته كمشايخ بيت النظازن الذين حكموا بلاد كسروان مدة طويلة من الزمن ومنهم أربعة فصول مشوا الدولة الفرندسية في بيروت في الجبل السابع عشر ومنهم الشيخ أبو نادر النظازن الذي صاحب الأمير فخر الدين المعني في سفره إلى إيطاليا وبقى ملازماً له بعد أن عاد إلى لبنان فحمد الأمير مديراً لأولاده وولاه على كسروان وجبل . ومنها مشايخ بيت حبيش الذين حكموا غزير وما يليها بعد آل سيفا وآل عساف ومنهم شريد بك حبيش قنصل الدولة العثمانية في باريس . ومنها مشايخ بيت الدحداح الذين جاءوا من العقورة وحكموا قنوج كسروان في الجبل السابع عشر والتاسع عشر ومنهم السكاوت رشيد الدحداح . ومنها مشايخ آل حمادة (متولة) الذين حكموا جبل والبترون وجبة بشرى في الجبل السابع عشر . ومنها أمراء بيت أبي الممع الذين حكموا المتن في الجبل الثامن عشر والتاسع عشر ومنهم الأمير حيدر أبي الممع .

برجالهم الى منتصف الطريق ^(١) وهبوا من كل فيج لتجديتهم بالأمون

ومشايح بيت الضاهر الذين حكموا الزاوية في الجبل الثامن عشر واصلهم من بيت الرز. ومن الحكام الذين تولوا جبة شمري التقدم دعد الحصر وفي وحفد تقدم خاطر وهو اصل بيت السمعاني ومشايح بيت عواد ومن فروع بيت مطر وآل شلوب الذين رحلوا الى حلب وآل فهد جد بيت الشدياق الذين جاؤوا الى عشقوت ثم اتقوا الى حدث بهروت وبيت زكات في يحشوش وبيت مسعد وتابت في عشقوت وقد نفع من كل هذه العائلات علماء اعلام يعدون في مصاف صفوة رجال سوريا الممدوحين وصدوا دعائم الطائفة المارونية ورفعوا شأنها حتى أصبحت لا يذكرونها الا مقروءا بذكرهم كالعلامة السمعاني الطائر العصبي والمطران جرمالوس فرحات والبطريرك بولس مسعد المؤرخ الشرقي الشهير وقرس الشدياق الذي كان اكتب اهل زمانه وقد نشأ ايضا من هذه الفروع بعض البطارقة وعدد غير قليل من المطارنة وعدد كبير من الادباء والكتاب مما يضيق المقام دون ذكرهم. ومن حكم جبة شمري الشيخ ابو كرم الحدي وهو اصل بيت كرم في اهدن ومنهم يوسف بك كرم بطل لبنان الشهير. ومنهم مقدمو بيت الشاعر في البغرون ومشايح آل اده من جبيل وقد كان لهم شأن في أيام آل معين وآل شباب ومنهم آل الرسلان وآل جنبلاط في الشوف ومنهم علي باشا جنبلاط الذي حارب عساكر الدولة في حلب وقتل فيها وانزلت الدولة الويلات بآله وعشيرته (التفكجية) وقتل منها ٢٨ ألف نفس. ومنهم مشايخ بيت الخوري حكاه رشيديا وملحقانها. وهناك عائلات أخرى حكمت بعض الجبال من لبنان لا محل لذكرها هنا

(١) في سنة ١١٤٦ عندما ضعف الافرنج في بلاد الشام نالت عليهم التجديت من اورب. وقدم الملك لويس ملك فرنسا بجيشه فوافده امرأ المردة ومقدمو جبيل لبنان ومنهم خلق كثير من اتباعهم فسار بهم الى القسطنطينية ومعه جيوفروا ملك النمسا وساروا منها الى قونية فتيق قرامير قفسس واللاذقية ولكنهم خلوا الطريق

والرجال وساروا معهم حتى نهر السكاب^(١) حيث كان أهل بيروت وصيدا

واهلكت جيوش المسلمين منهم خلقاً كثيراً

ويروى انه لما عصا يلفا الناصري نائب حلب وخرج عن طاعة السلطان
الظاهر برقوق (سنة ١٣٨٦) وجمع جيوشه لقمته استجد أهل طرابلس وأهل
كسروان والجردين وانتصر بهم على جيوش السلطان وكان لأهل كسروان
والتركان شأن يذكروا في هذه الحرب

(١) يوجد فوق نهر السكاب آثار برج قديم بناء الملك انطونيوس الخليم وهناك
دير للرهبانية الانطونية يسمى مار يوسف البرج نسبة اليه . وأول من بنى جسر نهر
السكاب إنما هو الملك انطونيوس المذكور الذي نزل على دومة سنة ١٤٠ للمسيح
وهو الذي قطع الصخور وبنى الجسر وسلك الطريق المؤدي الى بيروت على
شاطئ البحر وقد كتب على الصخر تجاه الجسر القديم ما يلي قبله عبارة هذه
ترجمتها : « لا مير دولو قبصر مار قوس اور يوس انطونيوس الخليم السعيد او غطس
كبير الجرمانين الخبر الاعظم قطع الجبال المشتملة على نهر ليفا وسلك الطريق
سهلاً ولقبه بالطريق الانطوني » ولقب النهر بنهر السكاب لانه بعد ان اصلاح
انطونيوس الطريق نصب عليه الكفرة قننة من حجر كبير على شكل كاب وقبده
بسلسلة حديد في الصخر وجعلوا امامه نقراً . وكانوا يعتقدون ان قد دخله شيطان
وعصار رصداً حتى اذا غزا عدو تلك البلاد نبح السكاب وخرج السكان لقتال العدو .
وما زال كذلك حتى قصده النوبة ورموا بالقننة في البحر ثم قاعوا رأس السكاب .
وكان النهر معبراً قبل ذلك بنهر ليفا

وهناك ايضاً كتابات اخرى قديمة العهد منقوشة في الصخور العالية المشرفة
على النهر ومن هذه الكتابات ما نقش لهود المصريين ومنها ما هو من آثار الاشوريين
ومنها للرومان ولكنها كتابة غير بارزة . وثما يلفت النظر منها كتابة باسم رعمسيس
الثاني من الدولة التاسعة عشر من دول الفرعنة التي نالت على مصر سنة ١٥٠٠ قبل

وصور يكتنون لهم فجرت هناك . وقعة كبيرة انجلت عن انهمزاهم . وكان
لأمراء المردة في تلك الحرب اليد الطولى في استظهار بردويل ملك القدس
على الاعداء . وقد ابلوا بلاء حسناً في مواقع اخرى كان في كل منها يقصد
النصر على الوبة الافرنج . ثم دخل الصليبيون جبل لبنان لعمد بدوين الاول ^(١)
احد ملوكهم فشق كثير منهم لاقامة فيه فاستوطنوه وامتزجوا باهلها ولا سيما
في الجهة الشمالية منه حيث لم تنزل سيما الشعوب الغربية على ملامح الاهالين ^(٢)

المسيح . واخرى باسم سلطان مصر (سنة ٨٣٦ قبل المسيح) واخرى باسم سنجاريب
(٧٠٧ - ٧١٢ قبل المسيح) وثالثة باسم ملر اوريل امبراطور الرومانيين (سنة
١٧٥ بعد المسيح)

(١) في ربيع سنة ١١١٠ زحف بلدوين ملك القدس (وهو من الصليبيين)
على بيروت وحاصرها مدة شهرين وكان صاحبها آنذاك الامير شجاع الدولة . ولما
تعذر على بلدوين فتحها والاستظهار على صاحبها استنجد افرنج السواحل وامراء المردة
حكم نصارى جبل لبنان فاجتمع الافرنج والمردة في جبيل وسار المردة من طريق
الجرد والافرنج من طريق الساحل واطبقوا على المدينة فدخلوها عنوة واهملوا السيف
في اهاليها وقتلوا صاحبها وامراءها ولم ينج منهم احد ثم ساروا الى صيدا وماكوها
وكان جبل لبنان وما يليه من بلاد جبيل وطرابلس منذ سنة ١١٠٨ دخل في
منطقة حكم الامير برتران (وهو من امراء الصليبيين) الذي كان خاضعاً لبلدوين
ملك القدس ولذلك لما زحف بلدوين على بيروت استجده امراء المردة والامير برتران
وكان يسمى في ذلك الحين جبل الغرباء .

(٢) وقد سكن الصليبيون جبل لبنان سنة ١١٨٠ ذلك ان الملك اندرونيكوس
اتفق مع ملوك الروم عليهم لخربهم واهملهم السيف وحرقوا كتابهم وادبرتهم
واستباحوا اعراضهم واموالهم فغلبوا من الديار السورية عن طريق سواحل الروم

غير انه لا يمكن الذهاب الى ان الشعب اللبناني عن بكرة ابيه من
اولئك الا فرنج لجورد امتزاجهم به فان اللبنانيين امتزجوا بشعوب كثيرة
وتناسل بعضهم من بعض بحيث بات من المستحيل ان يقال فيهم انهم
سلالة شعب دون آخر

وعندي ان سكان الجبلية الشمالية من لبنان انما هم المردة سكان البلاد
الاصليين بل ان اليهم فريق من الصليبيين في ابان شدتهم وكان قد اعتصم
بهم من قبل الكلدان والسريان الذين كانوا يسكنون منذ القدم في
البلاد الواقعة ما بين الدجلة والفرات ومما يدل على ذلك رسوم
عادات اولئك الاقوام فيهم وشيوخ لغتهم وطبختهم فيما بينهم ولا سيما في
جبة بشري وبقاء اثرها حتى ايامنا هذه . ويذكر المؤرخون ان سكان بلاد
النهرين نقلوا عباداتهم وعاداتهم الى لبنان وشاعت هناك شيوعاً عظيماً
حتى رسخت في تلك البلاد وظلت مستحكمة الحقات فيها اجيالاً عديدة.
ويروى ايضاً ان من اللبنانيين من هم من سلالة نبي نوح الذين تركوا
في سوريا آثاراً تذكر . واما اهل الجنوب ولا سيما سكان جبل الشوف فكان
معظمهم من الدروز واصلهم من الفاطميين وحلوا من مصر الى سوريا
ونزلوا في وادي التيم على طريق دمشق ثم اخذوا يتوحدون الى امراء
جبل لبنان ويتقربون منهم الى ان اتوا بهم الى الشوف واسكنوهم فيه
واخلوا بلاد فيليقية والزها وانطاكية ونخلف منهم قوم فرحلوا بعائلاتهم الى جبل لبنان
واستوطنوه . ثم طردوا من القسطنطينية بعد ان كانوا تزوجوا بنات ملوك الروم
وامراء العائلة المالكة وامتزجوا بالسكان امتزاجاً تاماً

فأقاموا هناك وكان يحكمهم امرأ آل معين ثم آل شهاب الذين جاءوا من
جوار الشام إلى وادي التيم وكانوا أول من سكنها وشيد فيها الدور والمنازل
وأما جبل الشوف فأول من سكنه آل معين وهناك طائفة أخرى جاءت
من بلاد بعلبك إلى كسروان والمثني هرباً من ظلم الحكام وأقامت في
بعض قرى منهما واستعمرتها وهي طائفة المناولة (الشيعة) وكان ذلك في
أيام آل سيف وأل عساف حكام غزير^(١)

ومنفذة ما يقال في اللبنانيين أنهم من بقايا الشعوب الفاتحة التي
دخلت سوريا من جهة الشمال فمنهم من أقاموا في السواحل البحرية ومنهم
من ابت نفوسهم الإقامة على الضيم وعبث الحكام واعتسافهم فأثروا
الإقامة في جبل لبنان واعتصموا به مع بقية سكانه الأصليين الذين كانوا
ينزلونهم فيما بينهم على الرحب والسعة وامتزجوا بهم بحيث أصبحوا وإياهم
شعباً واحداً وخرجوا عن طاعة الملوك الذين تولوا سوريا واستقلوا في شؤونهم
الداخلية استقلالاً تاماً كما مر. وكان لبنان يسكن في القديم جبل الغرباء نسبة إلى
الأجانب الذين كانوا يلجأون إليه هرباً من ظلم الفاتحين الذين دخلوا سوريا

(١) كان التمر في ذلك الحين يغزون البلاد وكانت سطوتهم قد قطعت قلوب
السكان وكان ملوك مصر ومصر الشام في نزاع دائم وحروب مستمرة ولم ينتظم لهم
حال يقتلون ويخاطمون بعضهم بعضاً والأفرنج من جهة أخرى واقفون ملوك البلاد
وامراتها بالمرصاد حتى إذا آنسوا غفلة منهم اغاروا عليهم ولذلك كان الناس يوثقون
السكنى في الجبال العالية لوعرة المسالك ولما كان لبنان متوسطاً في تلك البلاد قدم
إليه خلق كثير من وادي التيم وغيرها واستوطنوه

ويذكر المؤرخون ان طبيعة الديار السورية ذاتها كانت تقضي باستقلالها من اوجه عديدة اخضاها وعمورة مسالكها ومتمعة جبالها فلم تكن تدخلها دولة وتخضعها لسلطانها ويكاد يستقر لها الحكم فيها حتى تعود فتنتفض عليها وتخلع نير سلطتها عن عنقها وتستقل بامورها واحكامها ولا سيما جبل لبنان فلاس في تاريخ سوريا ما يشير ولو من طرف خفي الى انه خضع خضوعاً تاماً لدولة من الدول لا في العهد القديم ولا في الجديد . ولذلك كانت الدول الفاتحة تكتفي من فتوحاتها بسلطة اسمية تحتفظ بها في تلك البلاد وهذه السلطة الاسمية التي يعبر عنها بالسلطة العليا كانت في كل عصر من اعصر التاريخ موضوع تنازع دائم وتجاذب مستمر ما بين تلك الدول وكانت تريد او تضعف بحسب بعد مقرها او قربها من سوريا . وكما ان التاريخ لم يرو لنا حادثة واحدة يستدل منها ان لبنان خضع خضوعاً مطلقاً للسلطة العليا هكذا لم يرد فيه ما يدل على ان سوريا كانت في وقت من الاوقات خاضعة خضوعاً تاماً لهذه السلطة الى عهد بعيد الا من الجيل الثالث عشر فما بعد اي بعد استيلاء السلطان سليم الاول عليها سنة ١٥١٦

(١) عندما استولى السلطان سليم الاول على الديار الشامية وسمع اهالي البلاد بحلفه وعدله وجبروته جاؤا اليه من كل جهة يقدمون الخضر له . وعلى اثر ذلك رحل بعض المتأولة من بلاد بعلبك واستوطنوا بعض قرى كسروان كفاريا وحران وبقعاته ورجل اهل قرية السني من البقاع واستوطنوا في فتحة وساحل علما وفيهارون (و يوجد الآن اربعة بيوت من المسلمين في هذه القرية اصلهم من البقاع) وعرامون كسروان وغزير ثم رحل فريق منهم الى المتن والجرد فتمهم من اقام في برمانا ومنهم في مزارع كسروان الجردية . وجاء النصاري النازحون من طرابلس والمجدل فبنوا في

اما لبنان فبقي بعد ذلك مستقلاً^(١) وكان يحكمه الامير فخر الدين المعني
بدليل ان السلطان سليم نفسه لما دخل عليه فخر الدين مسلماً وقد آخأته
له لقبه بسلطان البر وذل خلفاؤه يتقبون خلفاء الامير بهذا الاسم الى ان
انقرض آل معين^(٢)

عربون ورجل فريق من اهالي بعلبك فسكنوا القنوج ومنهم الشيخ جيش بن موسى
ابن عبد الله الذي سكن في غزير . اما الامراء آل عساف فكانوا يقبسون في
وطاء عين شبيب من بلاد كسروان وكانوا يصرفون الشتاء في عين شور والارواق
وما عفى عنهم السلطان سليم جدوا غزير واستعمروها وهم ثلاث اخوة حسن وحسين
وقايد به . اما حسين فكان حاكماً على كسروان وجبيل وما مات خلفه في الولاية
اخوه الامير حسن بأمر وزير الشام وهو الذي بني سراي غزير سنة ١٥١٨ ثم
اختلف مع اخيه قايد به فرحل هذا الى الشويفات حيث نزل على الامير جمال الدين
التوخي ثم اتهم من اخيه حسن وقتله غداً في بيروت سنة ١٥٢١ واستأمر بالحكم
على كسروان وسجن الشيخ يوسف بن جيش واخاه سليمان في بيروت

(١) وما تغلب الملك المظفر على التتر قسم سوريا الى مقاطعات جديدة واقام
عليهم الولاة والنواب . وبني لبنان مستقلاً

(٢) وفي سنة ١٤٤٢ كانت دولة التتر اكسدة آخذة بالاضمحلال ودولة الاتراك
العثمانيين آخذة بالنمو والانتشار . وقد ظهرت الدولة العثمانية في سنة ١٣٠٠ وقد
اسسها السلطان عثمان الاول الملقب بالغازي وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه من
التركمن الرحلى الذين جاءوا سنة ١٢٣١ من جبال بحر قزوين الى جبال طوروس
في بلاد الاناضول وكلت يتولى الاناضول اذ ذلك السلطان علاء الدين السلجوقي
فاكرم السلطان وفادة سليمان شاه اليه وقربه اليه يستعمل بواسطته قبائل التركمن التي
كانت تأتمر بأمره وتخضع لسلطان قونية . وما مات سليمان خلفه ابنه ارطغرل وانتقل
الى مدينة سرغرتة ثم مات وخلفه ابنه عثمان سنة ١٢٩٦ وفي ذلك الحين تولى سلطان

روي ان سوريا لعهد الدولة الثامنة عشرة من الفراعنة كانت
مقسومة الى امارات صغيرة مستقلة الواحدة عن الاخرى ولكنها كانت

قوية السلجوقي قار الامير عثمان وقاز على اعوانه وقبض على عذات السلطنة
السلجوقية سنة ١٣٠٠ واستولى على قسم من مملكة بورصة وحارب حروباً كثيرة
وفتح بلاداً واسعة ولذلك لقب بالغزالي . وبه ابتدأت الدولة العثمانية . ثم جاء
خلفاؤه واخضعوا بلاد الاناضول والبلاد المجاورة لها وبلاد اليونان بحيث لم تبق
سنة ١٤٠٠ حتى كانوا فتحوا القسم الاكبر من مملكة الروم . وجاء السلطان
سليم ففتح بر الشام والعراق ووالاده امراء لبثان كما كانوا يوالون الملوك الذين افتحوا
سوريا من قبله اي انهم كانوا دائماً يحتفظون باستقلالهم الداخلي وتبقى السلطة العليا
محفوظة لاولئك الفاتحين

وفي سنة ١٥١٣ قتل السلطان سليم اولاد اخيه وكل من كان من سلالة
بني عثمان يستقل بالحكم ويستتب له الامر وفي سنة ١٥١٦ كانت المديار الشامية
لم تزل داخلة في حكم ملوك مصر الشراكسة وكان حاكم دمشق اذ ذاك رجل يدعى
الغزالي وحاكم حلب خير بك الشراكسي فاغراها السلطان سليم بالولاية على المديار
المصرية والشامية ان هما اتحداه على الشراكسة فالتجدها وسارا بعساكرهما اليه وكان
الامير فخر الدين المعني وامراء جبل الشوف في مقدمة جيوش الغزالي وخير بك
فقال فخر الدين لمن معه من رجاله وقومه دعونا نفرد لننظر لمن تكون الغلبة فنقاتل
معه . ولما دارت رحى الحرب انضم الغزالي وخير بك الى جيش السلطان وبقي
الغوري منفرداً برجاله المصريين في قتاله فاستظفر السلطان على عساكر المصريين
ثم سار الى حلب وملكها ومضى الى حمص وحماة فافتحهما ثم انتقل الى دمشق
ثم الى مصر فامتلكها بعد مواقع عظيمة واباد اسم الشراكسة الانراك من
المديار المصرية بعد ان ملك منهم على القطرين المصري والسوري ٥٩ سلطاناً .
وبعد المؤرخون السلطان سليم اعظم سلاطين آل عثمان وهو الذي اباد ممالك

في نزاع دائم تتجاذب كل منها الساطرة العليا وقد جرت بينها حروب كثيرة من اجل هذه الساطرة وكان الفراغة يطمعون بملك تلك البلاد المخصصة ويرقبون الفرص لاجتياحها والاستيلاء عليها وكان امرؤها يأنسون في منازلهم بعضهم مع بعض من اولئك الفراغة ميلا الى نجدتهم فيستنجدونهم بعضهم على بعض ويلجأون اليهم فيدخلون البلاد للتوفيق بين اولئك الامراء او انتصارا لامير على آخر ويتخذون من ذلك حجة لافتح البلاد واخضاعها لسلطتهم وبسط حمايتهم عليها . ومن اولئك الملوك طوطمز الاول وهو من الدولة الثامنة عشر على ما مر فدخل سوريا واستولى عليها واتصل ملكه

الشراكسة والأتراك ودخلت جميع الممالك الاسلامية في حوزته

وبعد ان احرز السلطان هذا النصر المبين جاءه الامير فخر الدين المعني والامير جمال الدين التتعي من امراء الغرب والامير عساف التركاني حاكم غزير وغيرهم من امراء جبل لبنان الذين كانوا يلقبون بامراء البر و هم يتخلف منهم عن المثل بين يدي السلطان سوى امراء التنوخيين لانهم كانوا من خلفاء الشراكسة وقد قتلوا بين صفوف عساكرهم في تلك الحرب . فدخل الامير فخر الدين على السلطان وخضع ودعاه فويلا ثم قبل كهم فقطاعه . فسأل السلطان خير بك عنه فقال له انه امير من امراء البر يحكم في جبال ضيقة من اقطاع الشام (ويريد بها جبال لبنان) فاحبه السلطان لنصاحته وشجاعته . وقال : ان هذا الرجل بالحقيقة يجب ان يدعى سلطان البر . ومن ذلك الوقت لقب ابن معن بهذا الاسم و لقب خلفاؤه كذلك حتى ان السلاطين انفسهم كانوا يذكرون هذا القرب في القرامانات التي كانوا يصدرونها بتجديد ولاية آل معن على جبل لبنان . ثم عين السلطان مناطق حكم كل امير من اولئك الامراء ورتب عليهم مالا قليلا . ويذكر المؤرخ ان مقداد ما اصاب كسروان من هذا المال سبعة مائة سلطاني (السلطاني يساوي ٣٠ قرشا)

بالبلاد الواقعة ما بين النهرين وجعل حدود مملكته على نهر الفرات ثم عقبه
طوطمز الثاني وحارب سوريا مرات متوالية واستتب له الحكم فيها زمناً
طويلاً ثم جاء آمينوتاس الثالث فالربيع وكلاهما بسط حمايته على سوريا
وخضع له امرأؤها بعد ان كانوا قد خلعوا عنهم سلطة اسلافه

وعلى هذا النحو ظلت سوريا في منازعات وحروب مستمرة دحاً طويلاً
من الدهر مع ملوك المصريين تارة تخضع لهم واخرى تخلع نير سلاطنتهم
عنها الى عهد رمسيس الثاني من الدولة التاسعة عشر التي توات على مصر
سنة ١٥٠٠ قبل المسيح. وفي ذلك الوقت كان ملوك الحثيين الشأن العظيم في
مصر تلك البلاد وجرت لهم مع رمسيس مواقع كبيرة انتهت بعقد هدنة
بين الفريقين وجلاء رمسيس عن الديار السورية. وبعد ان انقضت الدولة
الحثية تولاها الاشوريون امسك الملك تكلا فابلصر الاول فانضمها
لسلطانه وقسمها الى امارات صغيرة شبيهة بالامارات الالمانية وكان ذلك
في النصف الثاني من الجيل التاسع على ما مر بنا الكلام

واما لبنان فكان في خلال ذلك امارة مستقلة من طبيعتها غير انه لما
كانت الطبيعة حشرته بين تلك الممالك الصغيرة فلم يكن له غنى عن الناس
مساعدة احدتها فكان تارة يميل الى حاكم دمشق واخرى الى حاكم
طرابلس. ولما بيروت فكانت سحابة اجيال عديدة تابعة له داخله في ولاية
امرائه ولذلك لم يذكر المؤرخون انه استنجد مرة حاكمها. وهكذا ظل مدة
قرون عديدة يتمايل بين هذه الممالك تتجاذب مساعدته من كل جهة وهو
في هذا الممترك الهائل محافظ على استقلاله محافظة الاسد على عرينه

لبنان في الجيل التاسع عشر

كيف كان قبل فتنه سنة ١٨٦٠

لما تولى الامير بشير الشهابي الشهير الملقب بالملاحلي (نسبة الى جزيرة مالطة التي صرف فيها آخر سني حياته) الحكم على جبل لبنان^(١) واستقل بالولاية كان الجيل لم يزل منقسماً على ذاته تتنازع الاحزاب وتتجاذب السانحة المحلية في جهاته الاربع العداثر اللبنانية التي الفت التحكم في سكانه من قديم الزمن . وكان حكام الولايات المجاورة للبنان من البلاد الخاضعة للدولة يتجاذبون الامير من كل جهة وكل منهم يعمل على استمالته اليه استدراوا لتفاديه واستنداء لكفه ولكنه لم يكن يكثر كثيراً لوعودهم ووعد الناقمين عليه منهم فاستقل بالولاية ووافهم في جهات متفرقة واستظهر عليهم في كثير من المواقع التي جرت له معهم فتفقر يوسف باشا الكردي والي دمشق في قرية عرطو ودر ویش باشا في راشيا وكسر عساكر الشام ومن انضم اليهم من اهالي الشوف وغيرهم في واقعي المزة والمفتارة واقتنع قلعة نابلس بعد ان حاصرها مدة ثلاثة اشهر واحرق انتصارات اخرى كثيرة يضيق المقام دون حصرها هنا . فكير الامر على الدولة واعزت الى الجزائر حاكم عكا بعزله من ولاية جبل لبنان وكان الامير عباس شهاب ينازعه الحكم فمزل الجزائر الامير بشير وولى الامير عباس مكانه على لبنان وكان ذلك سنة ١٨٠١ ثم باد الامير بشير واستقرض الجزائر بعد ان دحر عساكره ورجل

(١) تولى الامير بشير على جبل لبنان سنة ١٧٩٥

الامير عباس واعمل فيهم السيف فصفح هذا عنه واعاده الى ولايته مشروطاً
عليه ان يهدم جوييه من اساسها . ولما مات الجزار خلفه الامير علي صيدا
وطرابلس وملحقتهما واحقت هذه الايلات بولاية جبل لبنان . وفي
سنة ١٨٢٢ عزل الامير من ولاية جبل لبنان على اثر ما دس له اعداؤه في
بلاد الشوف والنشام وما يتبعها من الاقاليم من الدسائس التي هاجت
خواطر رجال الدولة عليه فصار الى مصر ونزل على اميرها محمد علي باشا
فاكرمه واحله محلاً رفيعاً وأعجب بشجاعته وشهامته وامانته وأسرّ اليه بما
كان ينويه من الانتفاض على الدولة والاستيلاء على سوريا واستنجد به
على ذلك . ووافد محمد علي رسولا الى الاستانة لالتماس العفو عن الامير
واعادته الى ولايته ولم يلبث ان صدرت الارادة السنية بالعفو عنه واعيد
الى لبنان . وعلى اثر رجوعه الى الحكم سار ابراهيم باشا احد ابناء محمد علي
بمسأكره الى عكا ووفاد الامير اليها ببضعة مئاة من رجال اللبنانيين
مخاضرها بهم مدة وافتتحها ودخل اليها ظافراً منصوراً (وكان عبدالله باشا
حاكماً عليها) فسرّ ابراهيم باشا بفوز الامير وبعث يبشر اباد في مصر
فاوعز محمد علي الى ابنه بتولية الامير على صيدا بجزء شجاعته وان يعهد
اليه بتعيين الحكام على جميع اقطاعات سوريا . ومن ثم استحكمت حلفات
المودة بين ابراهيم باشا والامير وانجده هذا في مواقع كثيرة . ومما يجدر بالذكر
من هذا القبيل انه ارسل ابنه الامير خليل الى طرابلس فافتتحها وحرز
الفوز على عساكر الدولة ثم زحف هو بنفسه الى المدينة فهرب عثمان باشا
من امامه وتقهقر بمسأكره حتى حلب فارسل محمد باشا سرّ عسكر حلب

يحذر الأمير من عاقبة خروجه عن طاعة الدولة فلم يعأ بوعيده وظل موالياً
 لأبراهيم باشا ثم بعث والي حلب (محمد باشا) إلى اللبنانيين يشير عليهم
 باختيار وال لهم غير الأمير بشير فانقسم اللبنانيون احزاباً فمنهم من والوا
 الأمير ومن هؤلاء النصارى والزر اليسير من الدروز واخصهم أمراء آل
 ارسلان ومنهم من والوا الدولة وهم معظم الدروز وفئة من النصارى وبينهم
 بعض الأمراء الشهابيين الذين ظلوا مقيمين على طاعة الدولة سرّاً ثم عاد
 الدروز تخافوا بطش الأمير وولوه ظاهراً ولكنهم كانوا يعملون سرّاً على
 خلعهم من الولاية فانقم الأمير منهم وحرق بيوتهم واما لاكهم فهربوا وتشتتوا
 في كل صقع واستظل بعض مشايخهم بحماية حاكم دمشق. وإلى تلك الحوادث
 يرجع منشأ الخلاف الذي حصل بين النصارى والدروز وكان مقدمة
 للفتن التي اشتعلت نازها في جبل لبنان سنة ١٨٤٠ وما يليها وانتهت بحركة
 ١٨٦٠ المشهورة التي جاءت نتيجة طبيعية لما كان في البلاد وقتئذ من
 تباين الأغراض واختلاف المشارب السياسية التي تولد عادة مثل هذه الفتنة
 وتكون نتيجة انقسام الأمة الواحدة بل الطائفة الواحدة على بعضها
 وقيام اجزائها بعضها على بعض وهذا ما حدا بالعلامة البستاني الشهير
 إلى القول في معرض كلامه عن لبنان في كتابه « الدولة العثمانية قبل الدستور
 وبعده » ما نصه :

« كان لبنان قبل سنة ١٨٤٠ احزاباً سياسية غير دينية تتضاعن وتتصافى
 تتعارب وتتسلم فتعني الذين منهم من تفني ويميش من يعيس وهم جميعاً
 مشغولون بزراعتهم قانعون بما قسم لهم من الرزق الضيق والفنائة رفيق

الجهل . ثم تحولت تلك الاحزاب السياسية الى احزاب دينية وبقيت الحال على ما هي عليه الى سنة ١٨٦٠ »

ولم تكن الفتن الداخلية لترجع الامير بشير عن غية على حرج . موقفه ازاء الدولة العثمانية قسار الى حلب مقتنيا اثر العساكر العثمانية وخفر بها هناك في مواقع عديدة ثم عاد الى البلاد يجر اذيال النصر . ومما يؤثر عنه انه لما قدم شريف باشا الى عكا سأل الامير من اين امارتك فاجابه : « امارتي من سني » فتميز الباشا غيظاً وتمتم بين شفيعه كلاماً غير مفهوم

وفي سنة ١٨٢٥ خرج الشيخ بشير جنبلاط عن طاعة الامير بشير واجتمع اليه بعض اعيان الدروز في قرية المختارة وعدد من الامراء الشهابيين واللمعيين ونفر قليل من مشايخ بيت الخازن قنّامروا على خلعه وتولية الامير عباس شهاب مكانه على جبل لبنان وساروا لقتاله بمن انضم اليهم من اللبنانيين اما هو فاستنجد عبد الله باشا والي صيدا ومصطفى باشا والي دمشق والامير حيدر ابي اللمع زعيم الاسرة اللمعية فاجمدوه بالذخيرة والرجال وكتب اليه عزيز مصر بانه مستعد لنجده عند مسيس الحاجة وسار لقتال المعصاة وكبح جماحهم فقاتلهم واستظهر عليهم فتمزقوا خدائق وتشتتوا طرائق في البلاد يجرّون اذيال الفشل وفر الشيخ بشير جنبلاط الى دمشق فقبض عليه مصطفى باشا واعدمه شنقاً

وقد جرى لعهد الامير بشير كثير من الحوادث الاخرى التي يضيق المقام دون سرد وقائعها وجل ما يؤخذ منها ان موالاة الامير بشير محمد علي باشا كانت مدة اعوام طوال موضع النزاع الدائم بين الدولة وعزيز مصر

فكانا يتنازعان ولائه ويتجاديان مساعدته منذ اجتاحت ابراهيم باشا البلاد
العثمانية حتى خروجه منها . اما هو فجاهر بالولاء للناجح المصري في بادئ
امره ثم تظاهر حيناً بالتزوع والاخلاص الى الدولة اشفاقاً منه على ولايته
ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها انه ثبت على الولاء لأمير مصر حتى
اللتهى وكانت موالاته له مدعاة خذر رجال الدولة منه واضطهادهم اياه
وسبباً من اكبر الاسباب التي جرت على البلاد البلاء والويلات وادت
الى تلك الفتن الشديدة التي استمرت فيها سحابة السنين الطوال وكان
من امورها ما كان من استحکام حلفاء الخلاف بين الدروز والنصارى
وتمكن الضمائن من القلوب وعزل الأمير وتولية الأمير بشير قاسم شهاب
الملقب بالصغير مكانه الى غير ذلك من الحوادث التي لا محل لذكرها هنا



بعد ان استولى ابراهيم باشا على سوريا وبر الاناضول اعربت
بريطانيا العظمى عن رغبتها في شد ازر الدولة العثمانية عملاً بتعاليدها وازام
محمد علي بالجللاء عنهما (سنة ١٨٣٩) بشرط ان يصرح لها بادخال سفنها
الحرية في البوسفور وحذت حذوها روسيا وتبعتهما بروسيا . فعرضتا
مساعدتهما على الباب العالي . اما النمسا فلم تشترك اولا بهذا الاقتراح ثم
استأنتها بروسيا الى تأييدها فيه وكانت فرنسا راغبة في تأييد محمد علي
وتثبيت ولايته على مصر وبر الاناضول لما كان بينها وبينه من المصالح
الشركة في مصر وسوريا فعارضتها انكاثرا اشد معارضة ثم اقترحت ان
يتترك له نصف سوريا الجنوبي فلم توفقها فرنسا على ذلك رغماً عن موافقة

النمسا وبروسيا عليه . ثم انفردت روسيا باقتراح مؤداه ان يسمح لها
باقامة جيشها بالقرب من الاستانة فهاج اقتراحها هذا الرأي العام الاوربي
وتأجلت المخبرات في المسألة المصرية الى حين . ثم استؤنفت لعهد تيارس
الوزير الفرنسي الشهير الذي كان شديد الرغبة في تأييد محمد علي وانجحت
عن عزل فرنسا وعقد معاهدة بين انكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا من
مقتضاها ان تنجلي المساكر المصرية عما افتتحته من بلاد الدولة ويبقى
محمد علي لنفسه القسم الجنوبي من سوريا وان يكون لانكلترا والنمسا الحق
بفتح موافى سوريا بمساعدة من اراد من السوريين خلع طاعة محمد علي
والرجوع الى طاعة الدولة العثمانية وان لا يكون لاي دولة من الدول الحق
بادخال سفنها الحربية الى البوسفور ما دامت الاستانة غير مهددة . وقد
وقع على هذه المعاهدة سنة ١٨٤٠

ومن ذلك الوقت اخذ العمال الانكليز في سوريا يمهجون اللبنانيين
ويحتشونهم على خلع طاعة محمد علي ووزعوا عليهم بعض الاسلحة فتنبه
ابراهيم باشا للمكيدة التي نصبها له الدول الاوربية وشرع يجمع الاسلحة
من اهالي البلاد بمساعدة الامير بشير (وكان ابراهيم باشا وزع عليهم شيئا
كثيراً من الاسلحة لينجدوه على عساكر الدولة) فجمعت بجهد عظيم
بعد ان قاتل اللبنانيون رجال ابراهيم باشا وجرت لهم مع عساكره مواقع
كبيرة في جهات عديدة من لبنان

وفي أثناء ذلك وصل الاسطول الانكليزي الى بيروت للاستيلاء على
المراكب المصرية وطرده ابراهيم باشا من البلاد . ونصح قناصل الدول في مصر

محمد علي ان يسترجع عساكره من سوريا لان دولهم لا تسمح له وتذريته
الابولية مصر . فطردهم محمد علي واخذ الالهية للقتال واستعدت فرنسا
لانجاده . وفي ذلك الحين وصلت المراكب النمساوية والانكليزية الى
بيروت تحمل عشرة آلاف مقاتل من الجنود العثمانية والانكليزية فاطلقت
المدافع على المدينة وفر سليمان باشا الفرنسي (قائد العساكر المصرية)
بعساكره ثم دخلت الجنود الاوربية الى البلاد وتوغلت فيها ونال سائر
تغور سوريا من مدافع مراكبها ما نال ثغر بيروت . فتحصن سليمان
باشا في الجبال ومر على جهات كثيرة فانطاعت ايدي عساكره الى التهب
وحرقت البيوت والكنائس وانزلت فويلات بالسكان ولا سيما في كسروان
حيث لم تزل آثار الخراب التي تركها ابراهيم باشا هناك باقية حتى الآن .
وقد جرى له مع اولئك القوم مواقع كثيرة كان يقتل فيها من الجانبين
خلق كثير وكان سكان البلاد يعتصمون بالجبال العالية ويناوشون عساكر
ابراهيم باشا وكان لهم من الصخور التي كانوا يتخذونها معاقل لهم اكبر عضد
على مضايقته وسد ابواب النصر في وجهه . وجاهد القائد العثماني الى جونه
ووزع الاسلحة على الاهلين وشجعهم على مطاردة العساكر المصرية
ومناوشتهم فاجتمع بضعة آلاف منهم بقيادة الشيخ افرنديس ابي نادر
الخازن واقتفوا آثار العساكر المصرية وما زالوا يطاردونها حتى انحلت عن
الجبال وحلت في سهل البقاع . ومن ثم بعث السر عسكر العثماني الى
الامير بشير يدعو الى طاعة الدولة وانه يؤمنه ويبقيه على ولاية الجبل ان
هو سلم له وامهله عشرة ايام فاعتذر الامير عن التسليم بحجة ان اولاده

واقاربته وانسبائه بين العساكر المصرية فلا يسعه تركهم عرضة لانتقام ابراهيم
باشا فاعان اذ ذلك السر عسكر اقلية الامير ونصب مكانه على ولاية الجبل
الامير بشير قاسم وكان ذلك بايعاز من الاميرال الانكليزي . ومن ثم انجلت
العساكر المصرية عن البلاد بعد ان هدمت جميع القلاع والحصون القائمة
فيها (سنة ١٨٤٠)



وبعد ان تولى الامير بشير قاسم على لبنان وقعت نفرة بينه وبين
بعض اعيان الدروز افضت الى احتشاد الدروز ومحاصرتهم له في دير القمر
وادى ذلك الى اضطرام نار الفتنة بين الدروز والنصارى ونعرف تلك الفتنة
بالحركة الاولى (سنة ١٨٤١)

وعلى اثر ذلك جاء من الاستانة مصطفى نوري لتدبير شؤون لبنان
فاسر الامير بشير الكبير وارسله الى الاستانة . وجمع اعيان البلاد وكاشفهم
باقامة وال من رجال الدولة فأتى النصارى ان يولى عليهم احد من غير
الاسرة الشهابية اما الدروز فاذعنوا لاشارته وألقوا مقاليد الامر بين يديه
وكانت نتيجة ذلك ان جعل عمر باشا النمساوي العثماني حاكما على لبنان (سنة
١٨٤٢) فبالغ في اكرام النصارى وعين كثيرين منهم في خدمة حكومته
فساء تصرفه هذا معشر الدروز واستألو بعض اعيان النصارى اليهم ثم
عقد اتفاق ما بين القرى يقين مؤداه ان يكون الحاكم من الامراء الشهابيين
وشرط ان يكون احد الامراء الملميين معاوناً له وان يعين اربعة مدبرين
لولاية الجبل اثنان درزيان واثنان مسيحيان . ثم ساروا لمحاربة عسكر

عمر باشا وطرده من لبنان فناوشوه قليلا ثم تشتت شملهم من دون ان
يظفروا منه بظائل

ثم جاء اسعد باشا واليا على صيدا وقسم لبنان الى قائمقاميتين بناء على
قرار دولي ضمنه الباب العالي في مذكرة ارسلها الى سفارة انكلترا في ٧
دسمبر سنة ١٨٥٢ وقام الامير حيدر ابي اللمع قائمقاما على النصارى والامير
احمد عباس الارسلاني قائمقاما على الدروز وجعل حدود قائمقامية النصارى
من نهر ابراهيم الى آخر الانطانات الجنوبية منه وولى على جبيل وتوابعها
حاكما مسلما ثم عاد فجعل طريق الشام فاصلا بين القائمقاميتين وذلك على
اثر ما وقع من الاختلاف بين القائمقامين على بعض الجهات فاعطى قائمقام
الدروز الجهة الجنوبية من هذا الطريق وقائمقام النصارى الجهة الشمالية ثم
أُلحق جبيل بقائمقامية كسروان

وفي سنة ١٨٥٥ كانت الحرب الاهلية بين النصارى والدروز وتعرف عند
العامه بالحركة الثانية . ولما خاف وجيهي باشا اسعد باشا على ايلة صيدا جمع
اعيان الدروز والنصارى في بيروت ووفق بينهم . ثم جاء بيروت شكيب
افندي موفدا من قبل الباب العالي لتدبير شؤون لبنان و امر بجمع الاسلحة
من اهالي الجبل فجمعت بعد عناء كبير ومواقع عديدة جرت بين اللبنانيين
وعساكر الدولة ولا سيما في كسروان حيث امتنع الاهالي عن تسليم سلاحهم
الى ان تم ذلك على يد البطريرك يوسف حبيش الذي توسط في الامر وتعهد
بجمع الاسلحة بشرط ان تنجلي المساكن عن البلاد . ثم خاف الامير
حيدر على قائمقامية النصارى الامير بشير عساف ابي اللمع

وفي سنة ١٨٥٤ م ثار الكسروانيون على مشايخ بيت الخازن وعقب ذلك
بعض قتل في بلاد الشوف افضت الى فتنة عظيمة بين النصارى والدروز
وتعرف عند العامة بالحركة الثالثة او حركة الستين لحدوثها سنة ١٨٦٠
وعلى اثر ذلك ارسل السلطان عبد المجيد فؤاد باشا الى سوريا وعهد
اليه بالاعتصاص من الذين اضرهم وثار تلك الفتنة الهائلة وارسلت دولة فرنسا
سنة آلاف جندي باسم دول اوربا بقيادة الجنرال بوفور والجنرال ديكور
وارسلت دول فرنسا وانكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا مفوضين الى بيروت
للمداولة والبحث فيما يجب اجراؤه من اجل تجديد الفتن في لبنان . فانفقوا
بعد مداولات ومناقشات طويلة لا محل لذكرها هنا على سن النظام اللبناني
المثبت في صدر هذا الكتاب الذي على ما فيه من المواد التي لم تعد تنطبق
على مصلحة البلاد في الوقت الحاضر تمتع اللبنانيون بفضله بالراحة والهناء
مدة نصف جيل

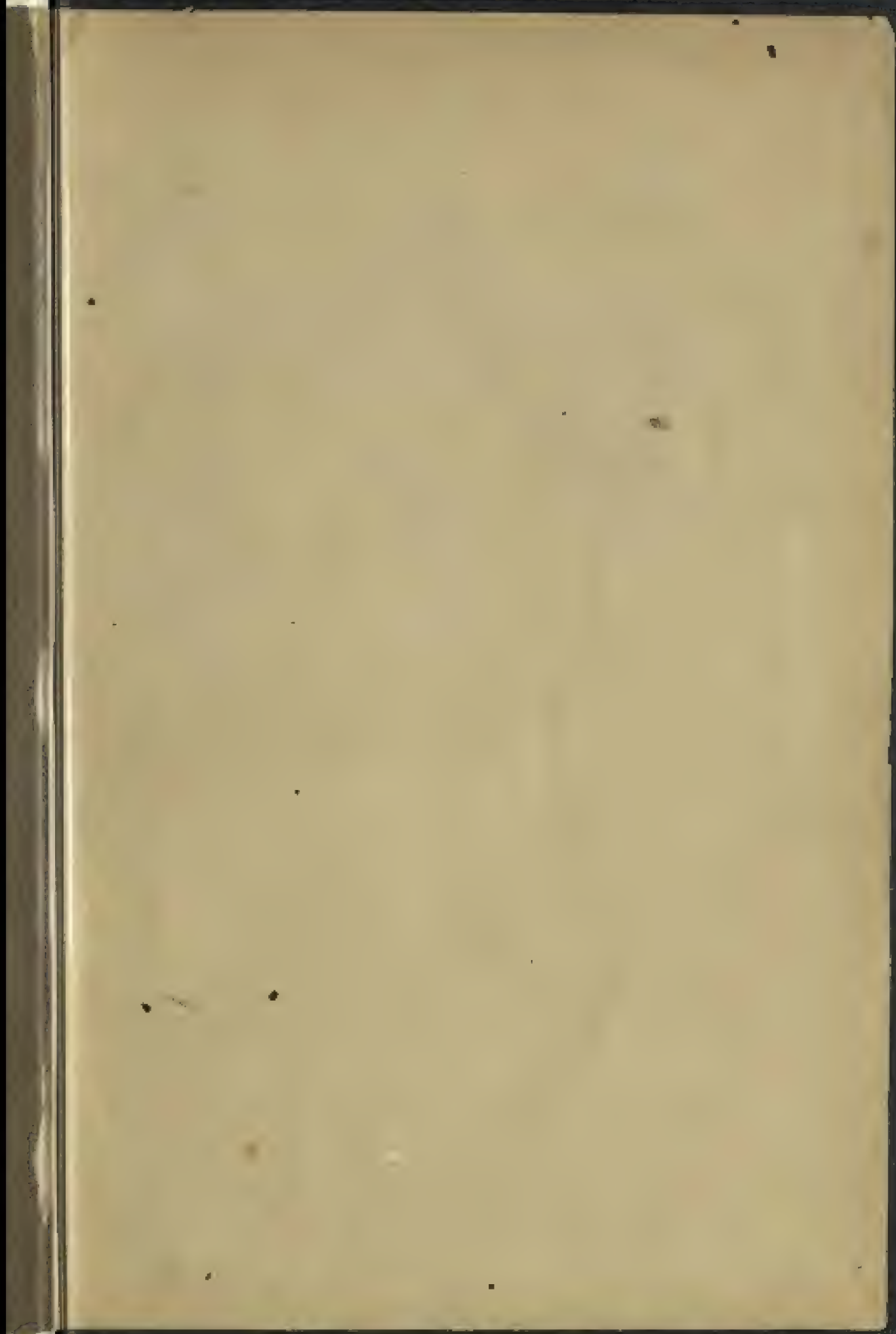
بولس مسعد

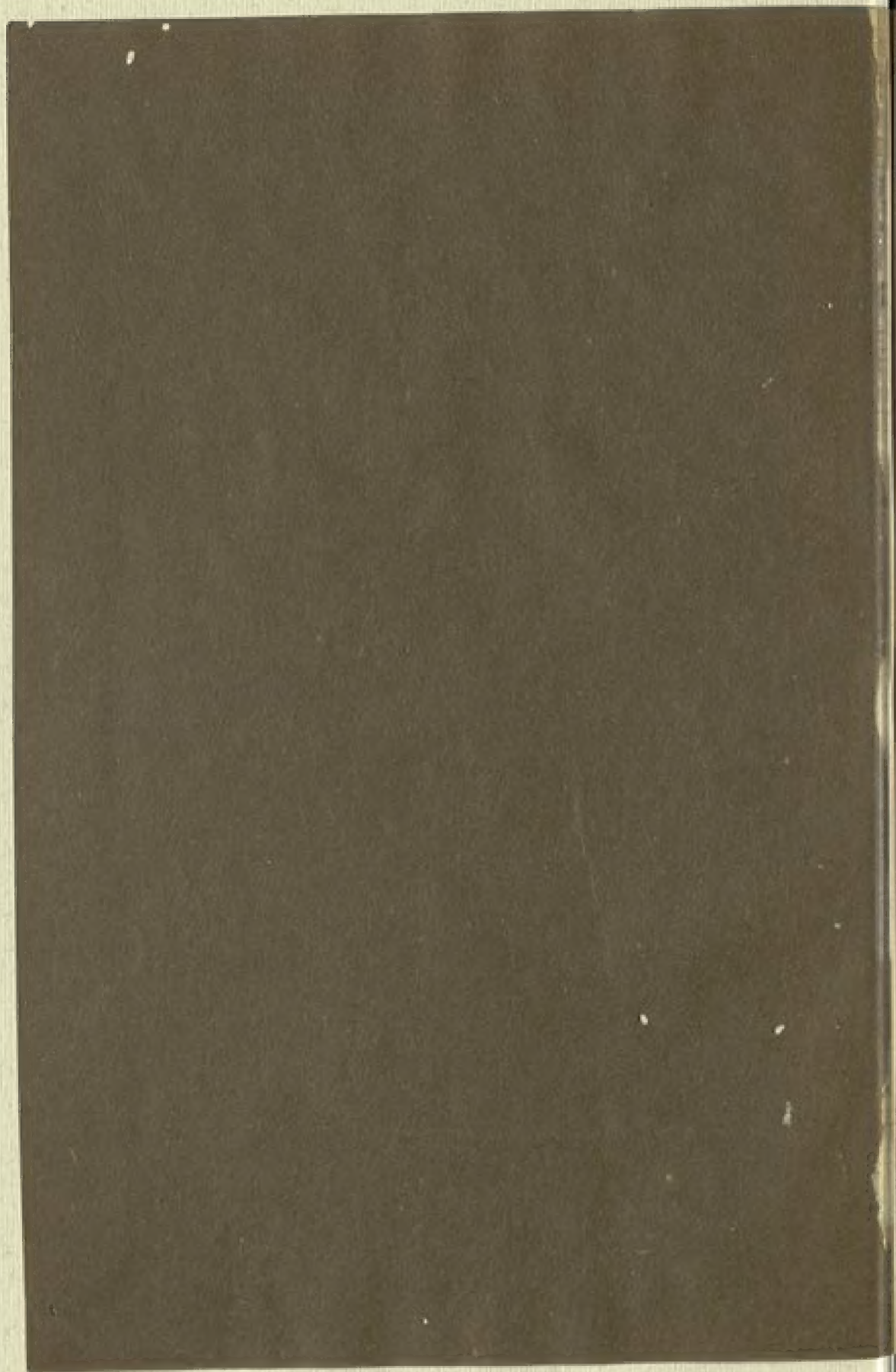
انتهى

« في يناير سنة ١٩٠٩ »

اصلاح خطأ

خطأ	صواب	صفحة	سطر
التقديم	القويم	٦	١٦
انها	انه	١٧	١٦
مخصص	مخصص	٢١	٧
في	من	٢١	٨
من	عن	٢٧	١٥
كلن	كان	٣٩	١٢
السمطة	السلطنة	٥٢	٤
تقدم	تقدم	٥٨	٢
فالعباسيين	فالعباسيين	٦١	١٥
المقدم	المقدم	٦٤	٣
لبن	لبنان	٦٦	١٣
وتكائر	وتكائر	٦٦	١٧
صيداً	صيدا	٦٧	١٧
من	عن	٧٠	١٢
عكا	عكا	٧١	٢٠
اوربوس	اوربيلوس	٧٤	١٢
رحي	رحي	٨٠	١٨
وقب	ولقب	٨١	١٨





NOT TO CIRCULATE

CA:956.9:M391LA:

مستند بولس (الاب)

لبنان والدستور العثماني...

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01067150

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY

NOT TO CIRCULATE



From the Library of
SULEIMAN AMIN ABU IZZEDDIN
Founder of the Druze Educational Society
Born Ibadlyeh, Lebanon, 1873
Died Beirut, 1933

A life of sacrifice and service

CA
956.9

M391LA



CA

9569

M3912A

C.I.